عبد الله بن عمر

مكوناته الدينية والسياسية

عرض وتحليل

تأليف
باقر شريف القرشي

عبد الله بن عمر

عبد الله بن عمر

مكوناته الدينية والسياسية

عرض وتحليل

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

عبد الله بن عمر

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

الناشر :...... دار الماهر ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام
المطبعة :.......................... الوردي
الطبعة الثانية:............ ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
عدد النسخ :.................. ١٠٠٠ نسخة

الردمك : ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٨١٧٣ ـ ٣٧ ـ ٠

النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله
مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

البيّنة ٩٨: ٤

﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾

الزخرف ٤٣: ٦٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ ﴾

النساء ٤: ١٧٤

﴿ هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

آل عمران ٣: ١٣٨

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُكَذِّبِينَ ﴾

الحاقّة ٦٩: ٤٩

تقديم

١

نحن أمام عبدالله بن عمر وجه من وجوه قريش، ورمز من رموز الصحابة، أضفى عليه معاصروه والتابعون لهم النعوت الكريمة والأوصاف الشريفة من القداسة وسموّ الذات، والحرج في الدين، كما كانت له مكانة متميّزة عند الخوارج، فقد رشّحه أحد أعمدتهم وهو أبو موسى الأشعري لقيادة الأُمّة في التحكيم بعد خلعه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ولم تكن لعبدالله تلك الأهمّيّة عند أبيه عمر حينما اغتاله أبو لؤلؤة الفارسي، فعرض عليه بعض أصحابه أن يرشّح ابنه للخلافة ويقلّده أُمور المسلمين، فرفض عمر ذلك وجرّده من مؤهّلات القيادة العامّة للمسلمين، وقال: «إنّه لا يحسن طلاق زوجته»، ومع جهله بأبسط الأحكام الشرعيّة الشائعة بين المسلمين، فإنّه ليس أهلاً لأن يتولّى شؤونهم.

ومع هذا الجهل بشؤون الشريعة كيف تولّى الفتيا بين المسلمين زهاء ستّين عاماً، وكانت الكثير من فتاواه لا تنسجم مع خطّ أهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون الإسلام بجميع مقوّماته ومكوّناته، كما سنعرض لذلك في بحوث هذا الكتاب.

٢

روى عبدالله بن عمر أحاديث كثيرة عن النبيّ ﷺ تزيد على ألفي حديث ، روى بعضها عنه سماعاً ، وروى البعض الآخر عنه بواسطة بعض الصحابة وأُمّهات المؤمنين ، كالسيّدة عائشة وشقيقته حفصة ، والكثير من رواياته تتعلّق بأحكام الدين ، إلّا أنّ بعضها لا تخلو من التأمّل ، لأنّها تتصادم مع القواعد الشرعيّة ولا تنسجم مع خطّ أهل البيت عليهم السلام ، وإنّما كانت مخالفة لما أُثر عنهم من الأحكام التي أفتوا بها .

وقد شاع انحرافه عن الخطّ العلوي ، فقد عهد المنصور الدوانيقي العدوّ الأوّل لأهل البيت إلى الإمام مالك أن يدوّن موسوعة في الفقه ، ويفتي بها الناس بشرط أن تكون منسجمة مع فتاوى عبدالله بن عمر ومخالفة لما أُثر عن الإمام أمير المؤمنين ، ومعنى ذلك بوضوح أنّ فتاوى ابن عمر قد شذّت عن فتاوى الإمام أمير المؤمنين وصيّ رسول الله ﷺ ، وباب مدينة علمه .

ومن المؤكّد أنّ الأحكام المخالفة له لا تحمل أي طابع من الأصالة ، وتبتعد عمّا شرّعه الإسلام من الأحكام .

٣

نرافق عبدالله بن عمر ، ونصاحبه بأمانة وصدق في دراستنا لشخصيّته ، وتحليلنا لمقوّماته الدينيّة والسياسيّة ، والأهمّ من ذلك التأمّل بوعي في بعض رواياته التي شذّت عن سنن الشريعة وأحكام الدين ، بل شذّت عن طبيعة الانسان ، وهذا مثل منها: روى عن النبيّ ﷺ أنّه قال: « إنّ هذا الميّت

يعذّب ببكاء أهله »[١].

وعين هذه الرواية رواها عمر عن النبيّ ﷺ من قبل ، وإنّا بدورنا نسأل لماذا يعذّب الميّت ببكاء أهله ؟ وقد انطوت حياته ، وصار في عالم آخر أحسن أهله أم أساءوا ، فإنّه غير مسؤول عن أعمالهم ، فإنّهم مجزيّون بها ومحاسبون عليها ، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ، ولا علاقة للميّت بهم كما أعلن القرآن ذلك ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[٣].

هذا هو حكم الإسلام يساير الطبيعة ، ولا يشذّ عن سنن الكون ، ولا يتصادم مع حكومة العقل .

وعلى أي حال ، فإنّ كثيراً من أحاديث ابن عمر على هذا الشكل قد شذّت عمّا قنّنه الإسلام من أحكام .

٤

والذي يهمّنا أن نخلص للحقّ ، ونتحرّى الصدق فيما نقوله ونكتبه ونشيعه بين الناس ، وأن نبتعد عن المؤثّرات التقليديّة والخارجيّة التي شذّت عن الواقع ، وألقت الناس في شرّ عظيم .

علينا أن ننظر إلى الوثائق التاريخيّة بعقولنا لا بعواطفنا ، فإنّ لها الحكومة في دراسة الأحداث والوقوف على نتائجها ، وقد مني المسلمون

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٣٧.

(٢) الأنعام ٦: ١٦٤. الإسراء ١٧: ١٥. فاطر ٣٥: ١٨. الزمر ٣٩: ٧.

(٣) النجم ٥٣: ٣٩ و ٤٠.

في عصورهم الأُولى بأحداث جسام حرفت الأُمّة عن مسيرتها التي أرادها الله تعالى لها من التقدّم والتطوّر والابداع لتكون خير أُمّة أُخرجت للناس في هديها وسلوكها وتماسكها، لتسير في ظلّ نظام رفيع آمن.. مستقرّ.. لا ظلّ فيه للعبوديّة والظلم والطغيان، وأن تكون قيادتها تحت مظلّة أهل البيت الذين رفعوا كلمة الحقّ وتبنّوا حقوق المظلومين والمضطهدين، وأخلصوا في طاعتهم لله تعالى.

٥

والشيء المؤكّد أنّ رموز الصحابة من القرشيّين قد انطوت نفوسهم ودخائل قلوبهم على الحقد والكراهية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تعاقدوا وتضامنوا على صرف الخلافة التي قلّدها النبيّ صلى الله عليه وآله له، فقد رفعوا شعارهم في أحداث السقيفة، وهم ينادون به: «أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد»[1].

وهذا الشعار مزيّف لا يحمل أي طابع من المنطق والشرعيّة، وإنّما استهدف بصورة مكشوفة تدمير الأُمّة بجميع مقوّماتها الفكريّة والسياسيّة والحضاريّة، فقد تحوّلت الخلافة عن أهل البيت وتمّ لهم ما أرادوا، وكان من نتائجها المدمّرة أن صارت الخلافة مغنماً تسابق إلى افتراسها الذئاب ممّن لا حريجة لهم في الدين من الأُمويّين والعبّاسيّين الذين جهدوا على إذلال المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ١: ٣٠.

٦

أمّا عبدالله بن عمر ، فإنّه من رموز القرشيّين ، ولم يختلف في طباعه وميوله عن انطباعاتهم وميولهم وعمّا أجمعوا عليه من الحقد على الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وعدم الركون إليه ، فإنّه حينما تقلّد الخلافة ، وبايعه جمهور المسلمين ، تخلّف عبدالله عن بيعته ولم يصلِّ خلفه ، ولكنّه صلّى خلف الحجّاج الثقفي ، ولم يستند في ذلك إلى رأي وثيق ، وإنّما استجاب لعواطفه التي لم تمل إلى الإمام ، ولم يتّخذ الإمام معه أي إجراء متّسم بالشدّة والعنف كما فعل ذلك أبو بكر حينما تخلّف الإمام عليّ عليه‌السلام عن بيعته .

لقد تخلّف عبدالله عن بيعة الإمام أمير المؤمنين وهو يعلم بعظيم منزلته ، وسموّ مكانته عند النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فهو وصيّه ، وباب مدينة علمه ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى ، كلّ ذلك يعلمه ابن عمر ، ولكن سار في الخطّ القرشي الحاقد على الإمام عليه‌السلام .

٧

وشيء آخر بالغ الأهميّة في حياة ابن عمر واتجاهه ، وهو إحجامه وسكوته عن مقاومة الحروب الثلاثة التي أثارتها الفئات الباغية ضدّ الإمام رائد العدالة في دنيا الإسلام ، فلم ينبر إلى نصرته أو إلى الإنكار عليهم معتذراً أنّه لا يعرف الباغي والمعتدي ، وهو اعتذار مهلهل لا رصيد له من الواقع ، فهو من دون شكّ يعرف الفئة الباغية ويشخّصها ، ولكن كراهيّته للإمام أخرسته ، ودعته يعتذر بأعذار واهية لا نصيب لها من الواقع ، وقد

ندم في آخر حياته على ذلك أشدَ الندم ، ولكنّه لا يجدي شيئاً ، فقد فات أوانه .

٨

وليس من المنطق في شيء الحكم المطلق بعدالة الصحابة أجمعين أكتعين ، وأنّهم في أسمى درجات التقوى والإيمان ، ولا يجوز النيل من أحدهم ، والخدشة في مقامه ، والمسّ بكرامته ، وإن اقترف إثماً فإنّ صحبة النبيّ ﷺ لها حرمة عظمى وشأن كبير ، فمن حظي بها فإنّه من المتّقين الأخيار .

وهذا الرأي سطحي وبعيد كلّ البعد عن القيم الإسلاميّة التي أناطت قيمة الشخص بعمله وتقواه ، وما يسديه للناس من خير ، وقد أعلن القرآن ذلك في قضيّة ابن نوح أنّه ليس من أهله لأنّه غير صالح في عمله ، وبعيد عن هدي أبيه ، وهل هناك صلة أوثق من صلة الأب بابنه ؟ فلم يحفل بها الإسلام ، وألقى الأضواء على العمل الصالح الذي به ينجو به الإنسان في يوم حشره . هذا هو رأي الإسلام ، وقد حكاه القرآن بصراحة ووضوح في قضيّة ابن نوح .

وليس من المنطق في شيء أن نقف باحترام وإجلال أمام بعض الصحابة الذين صدرت منهم الأعمال المجافية لأحكام الإسلام ، ونلتمس لهم المعاذير ونحملهم على الصحّة ، والبراءة ممّا اقترفوه من الأعمال الظالمة ، فإنّ ذلك من الجهل بأحكام الإسلام وقيمه ، كما هو إلغاء لحكومة العقل .

٩

لقد مرّ عبدالله بن عمر في حياته بأعقد المراحل التاريخيّة التي حفلت

بالأحداث الجسام ، وكان من أفجعها ، ومن أشدّها محنة وبلاء حادثة السقيفة التي فرّقت كلمة المسلمين ، وأخلدت لهم الفتن والمصاعب ، وألقتهم في شرّ عظيم ، فقد ترك الصحابة جثمان النبيّ ﷺ بعد وفاته مسجّى في بيته لم يغيّبه مثواه عن عيونهم ، وتنازعوا على الملك والسلطان يريد الأنصار بقيادة سعد بن عبادة زعيم الخزرج أن يكون لهم الملك لأنّهم أنصار النبيّ ﷺ في أيّام محنته وغربته ، ويريد المهاجرون من قريش بقيادة أبي بكر أن يكون لهم الحكم لأنّهم عشيرة النبيّ ﷺ ، فهم أوْلى به .

وبهذا المنطق تغلّبوا على الأنصار وفاز أبو بكر بالحكم في حين أنّ الأُسرة النبويّة قد أحاطت بالجثمان المقدّس وهي تذرف أحرّ الدموع ، وفاضت نفوسهم أسى وحزناً عليه ، ولم تحفل بهم حكومة أبي بكر ، وإنّما اشتدّت في موكب جهير على إرغامهم على البيعة لأبي بكر ، وكان المتحمّس الأوّل هو عمر بن الخطّاب ، فهو الذي حمل الناس على البيعة لأبي بكر رافعاً عقيرته: « لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد » .

وسنعرض لهذه الأحداث المؤسفة في فصول هذا الكتاب لأنّها تكشف لنا الكثير من جوانب الحياة السياسيّة لعبدالله بن عمر التي تأثّر بها ، ونهج منهج أبيه في الاعراض عن أهل البيت عليهم السلام ومعاملتهم معاملة عادية .

١٠

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل هو أنّ الصحاح والسنن لم تحفل بأي حديث عن النبيّ ﷺ في فضل ابن عمر والإشادة به .

يقول السيّد باسم الحلّي: « ولكنّ الغريب في الأمر أو قل الذي يثير الانتباه ، هو إنّنا أمام إشكاليّة أكبر ، وهي أنّ ابن عمر صاحب الرسول ﷺ أكثر من عشرة أعوام ، فلِمَ لا نجد مدحاً أو تقريضاً نبويّاً له ، فهل انّ الرسول ﷺ كان يتناسى أصحابه اعتباطاً أم كان لا يمدح إلّا من يستحقّ المدح ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلِمَ لم يمدح ابن عمر ؟ »[١] .

وهذا الرأي وثيق للغاية ، فقد أهملت الصحاح أي ثناء من النبيّ ﷺ في حقّه ، ولو كان له شأن عنده لأضفى عليه الثناء والتكريم .

باقر شريف القرشي

(١) عبدالله بن عمر : ١٥٢ و ١٥٣ .

ولادته ونشأته

لعلّ من المفيد أنْ نذكر عرضاً لبعض الجوانب المتّصلة بشخصيّة عبدالله بن عمر، والتي منها:

أُسرته

تفرّع عبدالله من أُسرة قرشيّة، عرفت باسم «عدي»، وهي إحدى بطون قريش القاطنة في مكّة، وهي من الأُسر الخاملة التي لم يبرز منها أحد في الجاهليّة ولا في الإسلام سوى عميدها عمر بن الخطّاب، وابنه عبدالله، ولم تذكر لهذهِ الأُسرة مأثرة في الجاهليّة كقراية الضيف، والدفاع عن حقوق الضعفاء والغرباء، كما عرفت بذلك الأُسرة الهاشميّة، كما لم تملك ثراء عريضاً كتجّار بني أُميّة، ولم يذكر التاريخ أحداً منهم انضمّ إلى حلف الفضول الذي تفتخر به قريش. هذا هو الواقع لتاريخ أُسرة عبدالله بن عمر.

الأب

أمّا الأب فهو عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبدالعزّى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح القرشي العدوي(١).

نشأ عمر نشأة جاهليّة، وكان فيما يحدّثنا به الرواة ولعاً باللهو وشرب الخمر(٢)،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣٦: ٢٩٨. تهذيب التهذيب: ٥: ٣٢٨.

(٢) حياة محمّد لمحمّد حسنين هيكل: ١٥٥.

قد تخلّق بخلق الجاهليّة من عبادة الأوثان والأصنام ، وغير ذلك من تقاليد الجاهليّة التي لا صلة لها بالأعراف والقيم الحضاريّة ، وكان من أشدّ الناقمين على الإسلام والمبالغين في تعذيب ضعفاء المسلمين ، والوقيعة بهم .

ولمّا بلغه هجرة المسلمين إلى الحبشة فراراً من عنف قريش ، وتنكيلها بهم ساءه ذلك ، وتميّز غيظاً ، وعزم على قتل رسول الله ﷺ ليريح قريشاً منه ، وراح يشتدّ لأداء مهمّته ، فالتقى بنعيم بن عبدالله فبادره قائلاً : أين تريد يا عمر ؟

- أُريد محمّداً الذي فرّق أمر قريش ، وسفّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسبّ آلهتها فأقتله .

ونهره نعيم ، وفنّد ما ذهب إليه قائلاً : والله لقد غرّتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمّداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

وراح عمر يقول بدهشة : ما هو ؟

- ختنك ، وابن عمّك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأُختك فاطمة بنت الخطّاب ، فوالله أسلما وتابعا محمّداً على دينه ، فعليك بهما .

وذهل عمر وفقد صوابه ، وراح يشتدّ نحو أُخته وختنه ، وقد فقدَ صوابه ، فهجم على الدار بشراسة ، وكان عندهما الصحابي خباب بن الأرت يعلّمهما الإسلام ، ويقرأ عليهما سورة طه ، فلمّا سمعوا صوت عمر خافوا من بطشه وسطوته ، وتغيّب خباب في مخدع خوفاً منه ، وسارعت فاطمة إلى الصحيفة فسترتها ، وكان عمر قد سمع قراءة خباب لبعض آيات السورة ، فصاح بأُخته : ما هذه الهينمة ؟

- ليس هناك شيء .

ورفع عمر صوته بغضب قائلاً : لقد أُخبرت أنّكما تابعتما محمّداً على دينه .

ثمّ بطش بزوج أُخته ، فقامت إليه لتمنعه عن زوجها فضربها ، وشجّ رأسها ،

فصاحت به غير حافلة بقسوته قائلةً: قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

وهدأت أعصاب عمر، وندم على ما اقترفه في حقّ أُخته وزوجها، وأيقن أنّ مقاومته للإسلام لا تجدي شيئاً، وأنّه لا بدّ أن ينتصر الإسلام وتطوى معالم الجاهليّة، وطلب من أُخته أن تعطيه الصحيفة التي كانوا يقرأونها، فقالت له: إنّا لنخشاك عليها.

- لا تخافي.

وحلف لها بالأصنام التي كان يعبدها أن يردّ الصحيفة إليها بعد قراءته لها، وطمعت بإسلامه حينما رأت تراجعه، فقالت له: إنّك نجس وعلى شركك، وانّ الصحيفة لا يمسّها إلّا الطاهر، وقام عمر فاغتسل، وناولته الصحيفة التي فيها سورة طه فقرأها، وبهر بفصاحتها وبلاغتها، واستجاب للإسلام فأعلن إسلامه[١].

وبادر إلى النبيّ ﷺ فأعلن إسلامه، وفرح المسلمون بإسلامه، لأنّهم استراحوا من خصومته وعنفه، وانضمّ عمر إلى صفوف المسلمين حتّى توفّي النبيّ ﷺ، فكان من أقوى المهاجرين في صرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام وتقليدها لأبي بكر، وبعد وفاته حوّلها إليه.

وشيء آخر في عمر إنّه كان معروفاً بالشدّة والغلظة في زمن النبيّ ﷺ[٢]، وكذلك في حكومة أبي بكر[٣].

وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهيّة ظاهرة[٤].

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام: ١: ٣٦٧.

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١: ٧١.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٦: ٣٥١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١: ١٨٣.

وإنّه كان شديد الغلظة ، وعر الجانب ، خشن الملمس ، دائم العبوس ، وكان يعتقد أنّ ذلك هو الفضيلة ، وأنّ خلافه نقص[١].

الأُمّ

أمّا أُمّ عبدالله فهي زينب بنت مظعون أُخت عثمان بن مظعون[٢]، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا شيئاً من سيرتها وشؤونها.

ولادته

ولد عبدالله قبل البعثة النبويّة بسنة[٣].

تسميته

سمّاه أبوه عبدالله.

كنيته

كان يكنّى بأبي عبدالرحمن ، ولا كنية له غيرها[٤].

ملامحه

أمّا صفاته الجسديّة ، فقد وصفه الرواة في شبابه بأنّه كان أحمر الشكل ، عظيم البطن[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٦: ٣٢٧.
(٢) تهذيب الكمال : ١٠: ٣٣٣. سير أعلام النبلاء : ٤: ٣٤٦.
(٣) أُسد الغابة : ٣: ٢٣٣.
(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٣١: ٨٤.
(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤: ٦٦٥.

ووصفه أبو إسحاق السبيعي ، قال : « رأيت ابن عمر رجلاً جسيماً ، ضخماً ، آدم في إزار إلى نصف الساق »[١] .

إسلامه

أسلم عبدالله قبل بلوغه ، وذكر الرواة في إسلامه روايتين :

الأُولى : إنّه أسلم مع أُخته حفصة قبل إسلام أبيه[٢] .

وهذه الرواية بعيدة ، وذلك لقسوة عمر وشدّته مع من أسلم ، فكيف أسلما قبل إسلامه ، اللّهمّ إلّا أن يكون قد أخفيا إسلامهما .

الثانية : إنّه أسلم بعد إسلام أبيه[٣] .

وهذه الرواية ليست بعيدة ، فإنّ عمر بعد ما أسلم أوعز إليهما باعتناق الإسلام .

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه : « عبدالله بن عمر »[٤] ، وذلك اعتزازاً بنفسه .

لباسه

كان عبدالله مترفاً في لباسه ، فكان يلبس المطرف من الخزّ وثمنه خمسمائة درهم ، كما كان يلبس العمامة السوداء[٥] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤: ٣٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٤: ٣٥٠.

(٣) أُسد الغابة : ٣: ٢٢٥.

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤: ٣٥٠.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤: ١٦٥ .

خضابه

كان يطلي لحيته بالخلوق والزعفران[١].

اعتزازه بنفسه

كان عبدالله كثير الاعتزاز بنفسه حتّى مع أبيه ، فكان يترفّع عليه ، وكان يكتب إليه : « من عبدالله بن عمر إلى عمر بن الخطّاب »[٢].

ترفّعه من الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله

كان عبدالله يترفّع من الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد روى الشعبي ، قال : « جلست مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً فما سمعته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا حديثاً واحداً »[٣].

ومعنى ذلك إمّا أن يكون اعتزازاً بنفسه ، أو أنّه لم يحضر مجلس النبيّ حتّى يحفظ من حديثه ، أو أنّه حضر ولم يحفظ ، أو أنّه حفظ ولم يرو لحاجة في نفسه ، وغير ذلك.

قلّة حفظه

كان عبدالله قليل الحفظ ، فقد مكث ثماني سنين لتعلّم سورة البقرة[٤] ، وكان أبوه قد حفظ سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلمّا ختمها نحر جزوراً[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٥٢.

(٢) تقريب التهذيب : ١٥٣.

(٣) سنن الدارمي : ١ : ٨٤. مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ١٥٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٦٠.

(٥) الدرّ المنثور : ١ : ٢١.

يقول السيّد باسم الحلّي : « ولكنّا إذا قبلنا هذا التبرير والتزمناه علينا أن نلتزم بآثاره العلميّة التي لا تنفكّ عنه ، فعلينا أن نلتزم بأنّ عبدالله بن عمر أذكى من عمر ، وأقوى عقلاً ، وأنقى قريحة ، وأكثر فهماً ، إذ هو تعلّم البقرة في ثمان سنين ، وأبوه في اثنتي عشرة سنة »(١).

ويرى مالك أنّ ابن عمر قد جهد ثماني سنين على تعلّم سورة البقرة لا على حفظها (٢).

وهذه المدّة من الزمن تنمّ إمّا عن عدم رغبته في تعلّم أحكام القرآن ، أو قلّة حفظه وإدراكه ، فكيف حفظ ما يزيد على ألفي حديث من أحاديث النبيّ ﷺ ؟

شغفه بالحياة الجنسيّة

كان عبدالله بن عمر مفرطاً في حياته الجنسيّة ، وكان فيما يقول المؤرّخون إذا صام لا يفطر إلّا بمجامعة زوجته(٣).

وأحبّ جارية كانت عنده فأعتقها فتزوّجها نافع ، فولدت له طفلاً ، فأخذه ابن عمر وجعل يوسعه تقبيلاً ويقول : « واهاً لريح فلانة » ، وهي الجارية التي أعتقها (٤).

وقال : « لقد أعطيت من الجماع شيئاً ما أعلم أحداً إلّا أن يكون رسول الله ﷺ »(٥).

وقد علّق المحقّق الأميني على مقارنة ابن عمر نفسه برسول الله ﷺ بهذه الظاهرة الجنسيّة بقوله : « نعم ، كان لابن عمر أن يشبّه نفسه بأبيه ومَن يشابه أباه فما ظلم ،

---

(١) عبدالله بن عمر : ٤٩٢.

(٢) الموطّأ : ١ : ٢٠٥.

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦١.

(٤) الطبقات الكبرى : ٤ : ١٦٧. سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٠. تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٣١.

(٥) الغدير : ١٠ : ٥٥. سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦١.

فقد عبّر عن قوّة شهوته بقوله : ما بقي فيَّ شيء من أمر الجاهليّة إلّا أنّي لست أُبالي أيّ الناس نكحت ، وأيّهم أنكحت »[١] .

لقد باهى بنفسه بكثرة الجماع ، ولم يباهي بمكرمة أو صفة ترفع مستواه ، ونظراً لشغفه بالجماع فإنّ أباه لم يأذن له بالجهاد خوفاً عليه من اقتراف الزنا[٢] .

وضوءه

كان عبدالله بن عمر لا يحسن الوضوء ، فكان يدخل الماء في أُصول عينيه[٣] ، ويرى أنّ ذلك الاحتياط في شؤون دينه حسبما يقول بعض الرواة ، وهو احتياط مرفوض ، فإنّ الواجب في الوضوء ، غسل ظاهر بشرة العين دون داخلها ، وهذا من الوسواس الذي أُمرنا بالاجتناب عنه .

شربه للخمر

ذكر ابن شبة : « أنّ عمر بن الخطّاب صلّى على جنازة ثمّ أقبل على جماعة فقال لهم : إنّي وجدت ريح الشراب من عبدالله بن عمر ، وإنّي سألته عنه ، فزعم أنّه خلّ ، وإنّي سائله عنه ، فإن كان مسكراً جلدته .

قال السائب : فأنا شهدته قد جلده »[٤] .

كراهته للزنوج

كان عبدالله بن عمر يحتقر الزنوج ويكرههم ، فقد سلّم على زنجي قائلاً له :

---

(١) الغدير : ١٠ : ٥٥.

(٢) سيرة عمر بن الخطّاب لابن الجوزي : ١١٥.

(٣) البداية والنهاية : ٩ : ٤.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة : ٣ : ١٤٢.

« السلام عليك يا جعل »(١).

ولا وجه لهذا الاحتقار لكرامة الإنسان ، سواء أكان زنجيّاً أم غيره ، وسواء أكان مسلماً أم غير مسلم ، فإنّ الآداب الإسلاميّة تلزم بإشاعة الأدب بين الناس .

مسالمته للأمويّين

والشيء البارز في حياة ابن عمر السياسيّة هو مسالمة الأمويّين الذين عاثوا فساداً في الأرض ، وساسوا المسلمين سياسة ذلّ وعبوديّة ، وتنكّروا لقيم الإسلام ومبادئه ، فلم تصدر منه أي بادرة لمقاومتهم أو الإنكار على ظلمهم وطغيانهم ، وإنّما كان مسالماً وصديقاً لهم ، فقد استخلصوا ودّه ، وشروا ضميره بما بذلوه له من الأموال والعطايا والهبات ، فقد بعث إليه معاوية بمائة ألف درهم أو دينار لمّا أراد أن يأخذ البيعة ليزيد ، والتفت عبدالله إلى أنّ المال الذي بعثه معاوية كان رشوة ، فقال : أرى ذاك الذي أراد إن ديني عندي إذاً لرخيص »(٢).

ولمّا بويع يزيد فاجر بني أُميّة ، قال : « إن كان خيراً رضينا ، وإن كان بلاءً صبرنا »(٣).

ومن صداقته ومسالمته للأمويّين أنّه لمّا بويع عبدالملك بن مروان الطاغية الفاجر كتب إليه بالسمع والطاعة ، وجاء في كتابه : « إنّي بايعت عبدالملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنّة الله ـ تعالى ـ وسنّة رسوله ، وإنّ بنيّ قد أقرّوا بذلك »(٤).

وفي أيّام الفتنة كان لا يأتي أمير على المدينة من قِبل الحكم الأموي في دمشق

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤ : ١٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤ : ١٨٢.

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٦.

إلّا أظهر له الولاء وصلّى خلفه ، وأدّى إليه زكاة أمواله[١].

لقد بايع هؤلاء الطغاة الذين تمرّدوا على القيم الإسلاميّة ، وحاربوا الله ورسوله ، وامتنع عن بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والصلاة خلفه ، وهو يعلم أنّه وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه ، كما تواترت النصوص النبويّة في حقّه .

مع الإمام الحسين عليه السلام

وأعلن الإمام الحسين عليه السلام رفضه الكامل لبيعة يزيد في أروقة الحكم الأموي أمام والي المدينة ، واتّجه صوب مكّة معتصماً بالبيت الحرام ومعلناً أمام الجماهير سخطه على الأمويّين ، وقد أحاط به المكّيّون والوافدون لحجّ بيت الله الحرام ، وهو يدعوهم إلى الاطاحة بالحكم الأموي ، ويذكّرهم ما مني به الإسلام من الأخطار الهائلة في حكم يزيد ، وخفّ عبدالله بن عمر إليه مسرعاً لمناصرة الحكم الأموي ، وهو يبدي النصيحة والشفقة عليه طالباً منه أن يسالم السلطة ويبايع يزيد كما بايع هو ، قائلاً :

« أبا عبد الله ، رحمك الله ، اتقِ الله الذي إليه معادك ، فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت ـ يعني بني أُمية ـ لكم ، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية ، ولستُ آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء ، فيقتلونك ، ويهلك فيك بشر كثير ، فإنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « **حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ ، وَلَئِنْ قَتَلُوهُ وَخَذَلُوهُ ، وَلَنْ يَنْصرُوهُ؛ لَيَخْذُلُهُمُ اللهُ إلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ** » .

وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس ، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل ، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين » .

---

(١) البداية والنهاية : ٩ : ٤ .

وخفي على ابن عمر مكانة الإمام، وسموّ منزلته ومسؤوليّته عن صيانة الإسلام وحمايته من الخطر المحدق به في حكم فرعون زمانه وطاغية عصره الذي أعلن الكفر والمروق من الدين، كيف يبايعه الإمام ويترك أُمّة جدّه فريسة بيده يرغمها على الذلّ والعبوديّة، وراح يقول لابن عمر: **أنا أُبايعُ يَزِيدَ، وَأَدْخُلُ في صُلْحِهِ؟!! وَقَدْ قالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ وَفي أَبيهِ مَا قالَ**».

كيف يبايع أبو الأحرار هذا الفاسق الفاجر ويدخل في طاعته، ويقرّ ظلمه وطغيانه؟!

وكان ابن عبّاس حاضراً في المجلس، فأخذته الشفقة على الحسين عليه السلام، فقال له: «صدقت يا أبا عبدالله، قال النبيّ: **ما لِي وَلِيَزِيدَ، لَا بارَكَ اللهُ في يَزِيدَ، وَإِنَّهُ يَقْتُلُ وَلَدِي، وَوَلَدَ ابْنَتِي الْحُسَيْنَ.**

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُقْتَلُ وَلَدِي بَيْنَ ظَهْرانِيَّ قَوْمٍ فَلا يَمْنَعُونَهُ إِلّا خالَفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ».

وليس من شكّ أنّ النبيّ ﷺ أخبر عن شهادة ولده الحسين عليه السلام منقذ أُمّته ومحرّرها من الجور والطغيان.

واغرق ابن عبّاس في البكاء لمّا علم أنّ الإمام مصمّم على الشهادة، فقال عليه السلام له: «**يابْنَ عَبّاسٍ، أَتَعْلَمُ أَنّي ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟**».

وراح ابن عبّاس يقول: «اللّهمّ نعم، نعلم ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك، وإنّ نصرك لفرض على هذه الأُمة كفريضة الصلاة والزكاة...».

ليس في شرق الأرض وغربها أحد ألصق برسول الله ﷺ ولا أقرب إليه من الحسين عليه السلام، فهو سبطه وريحانته، وإنّ طاعته فرض على جميع المسلمين.

وانبرى الإمام قائلاً: «**يابْنَ عَبّاسٍ، مَا تَقُولُ في قَوْمٍ أَخْرَجُوا ابْنَ بِنْتِ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ دارِهِ وَقَرارِهِ وَمَوْلِدِهِ، وَحَرَم رَسُولِهِ، وَمُجاوَرَةِ قَبْرِهِ وَمَسْجِدِهِ وَمَوْضِعِ مُهاجِرِهِ،**

فَتَرَكُوهُ خائِفاً مَرْعُوباً لَا يَسْتَقِرُّ في قَرارٍ ، وَلَا يَأْوِي في مَوْطِنٍ ، يُريدُونَ في ذَلِكَ قَتْلَهُ ، وَسَفْكَ دَمِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ وَلَا اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيّاً . . . » .

وانبرى ابن عبّاس قائلاً : « ما أقول فيهم ﴿ **إِلَّا أَنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُم كُسَالَىٰ** ﴾[1] . . . » .

وأضاف قائلاً : « وأمّا أنت يابن رسول الله فإنّك رأس الفخار برسول الله ، فلا تظنّ يابن بنت رسول الله أنّ الله غافل عمّا يفعل الظالمون ، وأنا أشهد أنّ مَن رغب عن مجاورتك ، وطمع في محاربتك ، ومحاربة نبيّك محمّد فما له من خلاق » .

وشكر الإمام مقالته ، وأخذ ابن عبّاس يبدي استعداده لنصرته قائلاً : « جعلت فداك يابن بنت رسول الله ، كأنّك تريدني إلى نفسك ، والله الذي لا إلـه إلّا هو ، لو ضربت بين يديك بسيفي هذا بيديَّ حتّى ينخلعا جميعاً من كتفي لما كنت ممّن وفى من حقّك عُشر العُشر ، وها أنا بين يديك مرني بأمرك » .

لقد صمّم ابن عبّاس على نصرة الإمام ، والانضمام إليه ، وكان ذلك نابع عن إيمانه الوثيق بحرمة الإمام ، وعظيم شأنه .

معارضة ابن عمر

وانبرى ابن عمر يطلب من الإمام أن يتخلّى عن معارضة يزيد ، ويخضع لسلطانه قائلاً : « مهلاً عمّا قد عزمت عليه ، وارجع من هنا إلى المدينة ، وادخل في صلح القوم ، ولا تغب عن وطنك وحرم جدّك رسول الله ﷺ ، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم علىٰ نفسك حجّة وسبيلاً ، وإن أحببت ألّا تبايع فأنت متروك حتّى ترى رأيك ، فإنّ يزيد بن معاوية عسى ألّا يعيش إلّا قليلاً فيكفيك الله أمره » .

ولم يرتض الإمام مقالته ، وعرّفه أنّه مصمّم على معارضة الحكم الأموي مهما

---

(١) التوبة ٩ : ٥٤ .

كلّفه الأمر.

وراح ابن عمر يقول: «لم يكن الله تعالىٰ يجعل ابن بنت رسول الله على خطأ، وليس مثلك في طهارته وصفوته من رسول الله ﷺ على مثل يزيد بن معاوية، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الجميل بالسيوف وترى من هذه الأُمة ما لا تحبّ، فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحبّ أن تبايع، فلا تبايع أبداً، واقعد في منزلك».

وراح الإمام يبدي لابن عمر عزم الأمويّين على قتله، وأنّهم لا يتركونه قائلاً: **«هَيْهاتَ يابْنَ عُمَرَ! إِنَّ الْقَوْمَ لَا يَتْرُكُوني، وَإِنْ أَصابُوني وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوني، فَلاَ يَزالُونَ حَتّىٰ أُبَايعَ وَأَنا كارِهٌ، أَوْ يَقْتُلُوني»**.

وأضاف الإمام قائلاً: **«أَما تَعْلَمُ يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ مِنْ هَوانِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ تَعَالىٰ أَنَّهُ أُتِيَ بِرَأْسِ يَحيَى بْنِ زَكَرِيّا إِلىٰ بَغِيٍّ مِنْ بَغايا بَنِي إِسْرائِيلَ، وَالرَّأْسُ يَنْطِقُ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟!**

أَما تَعْلَمُ يَا أَبا عَبْدِ الرَّحْمـٰنِ، إِنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيّاً ثُمَّ يَجْلِسُونَ في أَسْواقِهِمْ يَبِيْعُونَ وَيَشْتَرُونَ كُلُّهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئاً، فَلَمْ يُعَجِّلِ اللهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ...»[1].

إنّ ابن عمر كان متجاوباً مع السلطة الأمويّة، ويرى شرعيّة حكمها، وظنّ أنّ الإمام الحسين الذي يمثّل قيم النبوّة سوف يستجيب لرأيه، ويخلد إلى مسالمة الأمويّين الذين أثبتت أنشطتهم السياسيّة أنّهم جادّون في محق الإسلام، وتدمير أرصدته، وجعله شبحاً مبهماً لا حياة له.

كيف يسالم أبو الأحرار وسيّد الدنيا أقزام الأمويّين وفجّارهم، وهو من نفحات رسول الله ﷺ، الذي لا يرى للحياة قيمة سوى إحقاق الحقّ، وإعلاء كلمة الله تعالى

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٣١ ـ ٣٣٤، نقلاً عن الفتوح: ٥: ٢٣ ـ ٢٥. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١: ١٩٢ ـ ١٩٣.

في الأرض .

لقد استهان أبو الأحرار بالحياة في سبيل كرامته وعزّة دينه ، وهو القائل : « **لَا أرَى الْمَوْتَ إلّا سَعادَةً ، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلّا بَرَماً** » .

وهو القائل : « **ألَا وَإنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِّلَةِ وَالذِّلَّةِ ، وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ** » .

هذا هو الحسين عليه‌السلام المثل الأعلى للإنسانيّة بجميع مقوّماتها ، وهو اُنشودة الأحرار في كلّ زمان ومكان .

أحاديث عبدالله بن عمر وفقهه

وفيما أحسب أنّ القرّاء لأمثال هذه البحوث يهمّهم التعرّف على أحاديث عبدالله ابن عمر التي انتشرت في الصحاح والسنن ، وقد بلغت ألفين وستّمائة حديث ، وأفرد له البخاري ٨١ حديثاً ، كما أفرد له مسلم ٣١ حديثاً [١].

وقد ارتاب فيها المحقّقون ، فكان سالم بن أبي الجعد لا يعبأ بأحاديثه التي يسمّيها الصادقة ، ويقول في طعنها : « ما يسرّني أنّها لي بفلسين » [٢].

ويعود السبب في ارتياب العلماء في أحاديث ابن عمر وشكّهم فيها إلى ما يلي :

أوّلاً : إصابة ابن عمر بقلّة الحافظة ، فقد بقي ثمان سنين مجدّاً في حفظ سورة البقرة ، فلم يهتد لذلك ، إلّا بعد جهد شاقّ وعسير [٣].

وقد ورث ذلك من أبيه الذي بقي على حفظها اثنتي عشرة سنة في حفظها [٤] ، فكيف حفظ عبدالله هذه الكثرة من الأحاديث النبويّة ، فإنّ معظم الصحابة الذين كان لهم اتّصال وثيق بالنبيّ ﷺ لم يرووا عنه إلّا النزر اليسير ، سوى أبي هريرة شيخ المضيرة الذي روى عنه ما يزيد على خمسة آلاف حديث ، وقد اتّهمه المحقّقون بالوضع والافتعال [٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٧٢.

(٢) المعارف : ٤٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٧٢.

(٤) الدرّ المنثور : ١ : ٢١.

(٥) عرض الإمام شرف الدين والعلّامة محمود أبو ريّة إلى زيف أحاديثه.

ثانياً: إنّ ابن عمر أسلم وعمره عشر سنين، وأراد الالتحاق بالجيش الإسلامي، فمنعه النبيّ ﷺ، ولمّا بلغ سنّه ١٥ سنة انضمّ إلى الجيش الإسلامي[١]، وتوفّي النبيّ ﷺ وعمره ٢٠ سنة، ولم تكن له مكانة اجتماعيّة يمتاز بها على بقيّة الصحابة حتّى يروي عن النبيّ ﷺ هذه الجمهرة الكبيرة من الأحاديث.

هذه بعض المؤاخذات التي تواجه أحاديث ابن عمر، وهي تدعو إلى الارتياب والشكّ فيها.

نظرة في أحاديث ابن عمر

وكثير من أحاديث ابن عمر التي تسند له أو التي يرويها عن النبيّ ﷺ لا تلتقي مع الخطّ الإسلامي المتطوّر، والتي لا تعدو أن تكون من المخاريق، ومن هذه الأحاديث:

بكاء القمر

من مخاريق عبدالله بن عمر ما روي عنه أنّه كان يبكي في حجر إسماعيل فسئل عن بكائه، فقال: أتعجب أن أبكي من خشية الله، وهذا القمر يبكي من خشية الله تعالى، ثمّ نظر إلى القمر حتّى شفّ أي كاد أن يغيب[٢].

أرأيتم هذه الصورة الهزيلة التي تدعو إلى الاستهزاء والسخرية، وقد سجّلها المعجبون به للتدليل على خشيته من الله تعالى.

رؤيا ابن عمر

رأى عبدالله بن عمر رؤيا تدعو إلى الاستهجان، فقد روى البخاري بسنده

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤: ٣٧٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٣١: ١٢٧.

عن نافع ، قال : حدّثنا ابن عمر أنّ رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصّونها على رسول الله ﷺ فيقول فيها ما شاء ، وأنا غلام حديث السنّ وبيتي المسجد قبل أن أنكح ، فقلت في نفسي : لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء .

فلمّا اضطجعت ليلة ، قلت : اللّهمّ إن كنت تعلم فيَّ خيراً فأرني رؤيا ، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملَكان في يد كلّ واحد منهما مقمعة من حديد يقبلا بي إلى جهنّم ، وأنا بينهما أدعو الله تعالى : اللّهمّ أعوذ بك من جهنّم ، ثمّ لقيني ملَك في يده مقمعة من حديد فقال : لن تراع نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة ، فانطلقوا بي حتّى وقفوا بي على شفيرجهنّم ، فإذا هي مطوية كطيّ البئر ، لها قرون كقرون البئر ، بين كلّ قرنين ملَك بيده مقمعة من حديد ، ورأيت فيها رجالاً معلّقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم ، وعرفت فيها رجالاً من قريش ، فانصرفوا بي عن ذات اليمين ، فقصصتها على حفصة ، فقصّتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال : إنّ عبدالله رجل صالح .

فقال نافع : لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة[١] .

وهذه الرؤيا من السفاسف التي حيكت بثناء النبيّ ﷺ من أنّه رجل صالح ، وأنّه بعد هذه الرؤيا المضحكة أخذ ابن عمر يكثر من الصلاة .

رؤيا ثانية لابن عمر

وهذه رؤيا ثانية لابن عمر ، وهي كالأُولى في سخافتها ، فقد روى نافع أنّ عبدالله ابن عمر حدّثه أنّه رأى في المنام كأنّ في يده سرقة حرير[٢] لا أهوي بها إلى مكان في الجنّة إلّا طارت بي إليه ، فقصصتها على حفصة ، فقصّتها على النبيّ ، فقال :

---

(١) صحيح البخاري : ٨ : ٨٠ ، رويت بشكل موجز في تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ٩٩ .

(٢) السرقة: القطعة من الحرير .

إنّ أخاك رجل صالح(١).

رؤيا ثالثة لابن عمر

رأى عبدالله بن عمر في منامه عسّاً مملوّاً لبناً ، قال : فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيته يجري في عروقي ففضلت منه فضلة ، فأخذها عمر بن الخطّاب فشربها ، فأوّلوا هذه الرؤيا بأنّها علم آتاه الله له حتّى إذا امتلأت فضلت منه فضلة فأخذها عمر بن الخطّاب(٢).

بهذه السفاسف والخرافات التي يمجّها المنطق أراد ابن عمر أنّ يبيّن أنّ النبيّ ﷺ أضفى عليه صفة الصالحين والمتّقين.

هبوط هاروت وماروت إلى الأرض

روى عبدالله بن عمر أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول : إنّ آدم لمّا أهبطه الله تعالى إلى الأرض ، قالت الملائكة : أي ربّ ، نحن أطوع لك من بني آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلمّوا ملَكين من الملائكة حتّى يهبطا إلى الأرض فننظر كيف يعملان ؟

قالوا : ربّنا هاروت وماروت ، فهبطا إلى الأرض ، ومثّلت لهما الزهرة ـ التي هي إحدى الكواكب ـ امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتّى تتكلّما بهذه الكلمة من الإشراك بالله.

فقالا : والله لا نشرك بالله أبداً ، فذهبت ثمّ رجعت بصبيّ تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله حتّى تقتلا هذا الصبيّ ، فقالا : والله لا نقتله أبداً.

---

(١) صحيح البخاري : ٨ : ٧٦. وقريب منه في تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٠١.

(٢) موسوعة الغدير : ٥ : ٥٢٢. كنز العمّال : ١١ : ٥٨٣ ، الحديث ٣٢٧٨٠. تاريخ بغداد : ١٠ : ٢٣١. يروي يقول عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : «قال رسول الله : أتيت في المنام...» ، وكذلك في تاريخ مدينة دمشق : ٤٤ : ١٣٠.

فذهبت ثمّ رجعت بقدح خمر فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتّى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا، فوقعا عليها وقتلا الصبيّ، فلمّا أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً ممّا أبيتماه عليَّ إلّا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيّراً بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا (١).

وهذه الرواية لا تصحّ بناءً على عصمة الملائكة، إذ كيف يقترف الملَكان هاروت وماروت هذه المعاصي الآثمة التي تتصادم مع عصمة الملائكة، مضافاً إلى مثول كوكب الزهرة بصورة امرأة أغرت الملَكين، وهذا خيال محض لا واقع له، وقد ذكر العلّامة الطبرسي قصّة هاروت وماروت بصورة لا يرد عليها إشكال لما قاله ابن عمر.

قال الطبرسي: «وقيل في سبب هبوطهما أنّ الملائكة تعجّبت من معاصي بني آدم مع كثرة نِعم الله تعالى عليهم، فقال طائفة منهم: يا ربّنا، أما تغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك وممّا يفترون عليك من الكذب والزور، ويرتكبونه من المعاصي وهم تحت قبضتك، فأحبّ الله سبحانه أن يعرّفهم ما منّ به عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة، وعصمهم من الذنوب، فقال لهم: اندبوا منكم ملَكين حتّى أُهبطهما إلى الأرض، وأجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم، ثمّ اختبرهما في الطاعة لي، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت، وكانا من أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم...

فأوحى الله تعالى أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم، وانظرا أن لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النفس التي حرّم الله تعالى قتلها، ولا تزنيا ولا تشربا الخمر، ثمّ أهبطهما إلى الأرض على صورة البشر، فنظرا إلى بناء فأقبلا نحوه، فإذا امرأة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ١٣٤.

جميلة حسناء أقبلت نحوهما ، فوقعت في قلبهما ، ثمّ إنّهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ، ثمّ حرّكتهما الشهوة فرجعا إليها فراوداها عن نفسها ، فقالت : إنّ لي ديناً أُدين به ، ولست أقدر أن أُجيبكما إلى ما تريدان إلّا أن تدخلا في ديني ، فقالا : وما دينك ؟

قالت : لي إلـه من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أُجيبكما إلى ما سألتماني .

قالا : ما إلـهك ؟

قالت : هذا الصنم ، فغلبتهما الشهوة فاستجابا لها .

قالت : فدونكما فاشربا الخمر ، فإنّه قربان لكما عنده وبه تصلان إلى ما تريدان .

فقالا : هذه ثلاث خصال قد نهانا ربّنا عنها : الزنا والشرك وشرب الخمر ، ثمّ قالا لها : ما أعظم البليّة قد شربنا الخمر ، وسجدنا للصنم ، ثمّ راودناك عن نفسك ، ودخل عليهم سائل فلمّا رأياه فزعا منه ، فقال لهما : إنّكما لمريبان قد خلوتم بهذه المرأة الحسناء ، إنّكما لرجلا سوء ، وخرج عنهما ، فقالت لهما المرأة : بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحنا ، فبادرا إليه فقتلاه .

وأوحى الله تعالى لهما أن اهبطتكما إلى الأرض ساعة فعصيتماني بأربع معاصي قد نهيتكما عنها ، فلم تراقباني ولم تستحيا منّي ، وقد كنتما من أشدّ الناقمين على أهل الأرض ، فاختارا عذاب الدنيا أو الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا . . .الخ » .

وهذا الخبر رواه العيّاشي مرفوعاً إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام[١] .

وهذه الرواية لو صحّت فهي أوضح بياناً وأوفى قصداً من رواية عبدالله بن عمر المضطربة ، وكلتا الروايتين إنّما تكونا مقبولتين بناءً على عصيان الملائكة ، أمّا بناء على عصمتهم ، فرواية ابن عمر ساقطة ، والثانية تكون مقبولة .

---

(١) مجمع البيان : ١ : ١٧٥ و ١٧٦ .

الميّت يعذّب ببكاء أهله

روى عبدالله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ مرّ بقبر، فقال: «إنّ هذا ليعذّب ببكاء أهله عليه»(١).

وقد روى مثل ذلك أبوه عمر، وحرّم البكاء على الميّت، وقد شذّت هذه الرواية وخالفت كتاب الله تعالى إذ قال: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(٢).

إنّ الإنسان إذا انطوت حياته فهو غير مسؤول عمّا يصنعه أهله أو يقترفون من ذنب، وقد أنكر ابن عبّاس فتوى ابن عمر، فرجعا إلى عائشة، فقالت: إنّ رسول الله ﷺ مرّ على قبر كافر، فقال: إنّ هذا ليعذّب الآن وأهله يبكون عليه(٣).

أحاديثه في فضل معاوية

وأُثرت عنه طائفة من الأحاديث في فضل معاوية، وهذه بعضها:

١ ـ روى عبدالله عن النبيّ ﷺ أنّ معاوية يبعث يوم القيامة عليه رداء من نور الإيمان(٤).

٢ ـ روى عبدالله بن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه: «الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة، فطلع معاوية، فقال: أنت يا معاوية منّي وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنّة كهاتين ـ وأشار بإصبعيه ـ»(٥).

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤: ٣٧.
(٢) الأنعام ٦: ١٦٤. الإسراء ١٧: ١٥. فاطر ٣٥: ١٨. الزمر ٣٩: ٧.
(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٣١.
(٤) موسوعة الغدير: ٦: ٩٩.
(٥) موسوعة الغدير: ٦: ٥٠٤، نقلاً عن ميزان الاعتدال: ١: ٤٩٥.

وكثير من أمثال هذه الموضوعات نسبت لابن عمر في فضل هذا الذئب الجاهلي المجرّد عن كلّ صفة إنسانيّة، والذي هو الخصم الأوّل للنبيّ ﷺ وهو صاحب الأحداث الجسام التي استهدفت القضاء على الإسلام وتصفية أعلامه الذين آمنوا بحقّ أهل البيت عليهم السلام، كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمّار وأمثالهم من حضنة الإسلام، ودعاة أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ روى عبدالله بن عمر أنّ جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبيّ ﷺ سفرجلاً، فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات، وقال: تلقاني بهنّ في الجنّة[١].

في فضل عثمان

ونسبت إلى ابن عمر بعض الأحاديث في فضل عثمان بن عفّان شيخ الأمويّين، كان منها:

١ ـ روى ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: لمّا أُسري بي إلى السماء، فصرت إلى السماء الرابعة سقطت في حجري تفّاحة، فأخذتها بيدي فانفلقت، فخرجت منها حوراء تقهقه، فقلت لها: تكلّمي لمن أنت؟

قالت: للمقتول عثمان بن عفّان[٢].

٢ ـ روى عبدالله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الملائكة لتستحي من عثمان»[٣].

ولا نعلم الوجه في حياء الملائكة من عثمان لأنّه آثر بني أُميّة وآل أبي معيط بفيء

(١) موسوعة الغدير: ٥: ٥٢٦.

(٢) ميزان الاعتدال: ٣: ٥٧٠.

(٣) تاريخ بغداد: ٢: ١٠٦.

المسلمين، أو لأنّه نكّل بخيار المسلمين وصلحائهم، أمثال أبي ذرّ وعبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر، وغير ذلك من الأحداث الجسام حتّى استحت الملائكة منه.

في فضل أبي بكر

من روايات عبدالله بن عمر في فضل أبي بكر، قال: كنت عند النبيّ ﷺ وعنده أبوبكر الصديق عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال، فنزل عليه جبرئيل فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال؟

قال: أنفق ماله عليَّ قبل الفتح.

قال: فأقرأه عن الله السلام، وقل له؛ يقول لك ربّك: يا أبا بكر،أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟

قال: فالتفت النبيّ ﷺ إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، هذا جبرئيل يقرأك عن الله السلام ويقول لك: أراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط؟

قال: فبكى أبو بكر، وقال: أعلى ربّي ساخط، أنا راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ»[١].

روى عبدالله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال لبلال: يا بلال، أذّن في الناس أنّ الخليفة بعدي أبو بكر. يا بلال، نادِ في الناس أنّ الخليفة بعد أبي بكر عمر. يا بلال، نادِ في الناس أنّ الخليفة من بعد عمر عثمان. يا بلال، امضِ أبى الله إلّا ذلك ـ ثلاث مرّات[٢].

روى عبدالله بن عمر، عن النبيّ ﷺ: «ما جئت ليلة أُسري بي من سماء إلى

---

(١) تاريخ بغداد: ٢: ١٠٥. تاريخ مدينة دمشق: ٣٠: ٧١.

(٢) تاريخ بغداد: ٧: ٤٢٩.

سماء إلّا رأيت اسمي مكتوباً : محمّد رسول الله ، أبو بكر الصدّيق »[١].

في فضل الخلفاء الثلاث

روى عبدالله بن عمر ، قال : شاهدت النبيّ ﷺ في حائط نخل ، فاستأذن أبوبكر ، فقال النبيّ ﷺ : ائذنوا له وبشرّوه بالجنّة .

ثمّ استأذن عمر ، فقال : ائذنوا له وبشّروه بالجنّة .

ثمّ استأذن عثمان ، فقال : ائذنوا له وبشرّوه بالجنّة على بلوى تصيبه .

قال : فدخل ـ يعني عثمان ـ يبكي ويضحك ، قال عبدالله : فأنا يا نبيّ الله ؟

قال : أنت مع أبيك[٢].

وكثير من أمثال هذه الخرافات الموضوعة افتعلت لإثبات فضائل الصحابة ، ومن المؤسف أنّها دوّنت في الصحاح .

في فضل أبي بكر وعمر

من الأخبار التي رويت عن ابن عمر في فضل أبي بكر وعمر ما رواه عبدالله بن عمر ، عن النبيّ ﷺ قوله : ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيتزوّج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ، ثمّ يموت فيدفن معي في قبري ، فأقوم أنا وهو من قبر واحد بين أبي بكر وعمر[٣].

وآثار الوضع والافتعال في هذا الحديث غير خافية على المتأمّل ، فقد كان من بنوده ظهور السيّد المسيح وزواجه وموته ودفنه بجوار النبيّ ﷺ ، ثمّ بعثه

---

(١) تهذيب التهذيب : ٥ : ١٢١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٠٤ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٢١٠.

(٣) ميزان الاعتدال : ٢ : ٥٦٣.

مع النبيّ وبجواره الشيخان، وذلك للإشادة بهما.

الخلفاء الإثنا عشر

من روايات ابن عمر الموضوعة: أنّ النبيّ ﷺ قال: يكون على هذه الأمّة اثنا عشر خليفة: أبو بكر الصدّيق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد، أصبتم اسمه، عثمان بن عفّان ذو النورين قتل مظلوماً أُوتي كفلين من الرحمة، ملك الأرض المقدّسة، معاوية وابنه، ثمّ يكون السفّاح ومنصور وجابر والأمين، وسلام، وأمير العصب لا يرى مثله، ولا يدرى مثله»[١].

وهذا الحديث مزوّر ومنكر وموضوع، فقد عدّ من الخلفاء معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، والمنصور الدوانيقي الخبيث الدنس، وهؤلاء الثلاثة من رموز الضلال، ومن أئمّة الجور الذين عاثوا في الأرض فساداً.

وأكبر الظنّ أنّ هذا الحديث وضع قبال الحديث المشهور: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدي** ـ أو الخلفاء ـ **إِثْنا عَشَرَ أَوَّلُهُمُ الإمامُ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام، **وَآخِرُهُمْ مَهْدِيُّ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الَّذي يَمْلأُ الْأَرْضِ قِسْطاً وَعَدْلاً بَعْدَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً**»[٢].

وقريب من هذا الحديث ما رواه عبدالله بن عمر عن النبيّ ﷺ يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصدّيق لا يلبث بعدي إلّا قليلاً، وصاحب رحى دارة العرب يعيش حميداً، ويقتل شهيداً عمر، وأنت يا عثمان سيسألك الناس أن تخلع قميصاً كساك الله عزّ وجلّ إيّاه، والذي نفسي بيده، لئن خلعته لا تدخل الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط»[٣].

---

(١) موسوعة الغدير: ٥: ٣٥٢، الحديث ٣٤. تاريخ الخلفاء: ١٦٧ و ١٦٨.

(٢) الإمامة والتبصرة: ١.

(٣) البداية والنهاية: ٦: ٢٣٠.

ويكفي دلالة في وضع هذا الحديث أنّ الخلافة التي تقمّصها عثمان بن عثمان لم يكسوه الله تعالى بها، وإنّما كساه بها عمر بن الخطّاب، فهو الذي وضع نظام الشورى لأجل أن يفوز بالخلافة عثمان بن عفّان، ولا تكون للإمام عليّ عليه السلام من بعده وهو أمر ظاهر حسب الدراسة الواعية لنظام الشورى العمريّة.

فضل الشيخين

من روايات عبدالله بن عمر في فضل الشيخين، قال: هبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له: إنّ ربّ العرش يقول لك: لمّا أخذت ميثاق النبيّين أخذت ميثاقك وجعلتك سيّدهم، وجعلت وزيرك أبا بكر وعمر، وعزّتي لو سألتني أن أزيل السماوات والأرض لأزلتهما[1].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث افتعلت لإضفاء القداسة على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي بظاهرها تحكي افتعالها، وقد وضعت لمعارضة الأخبار الصحيحة في فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ونكتفي بهذا النزر اليسير من الأحاديث التي نسبت إلى عبدالله بن عمر، وهي على الاطلاق من الموضوعات، قد افتعلت في فضل الصحابة في أيّام العصر الأموي، وجعلهم في قبال العترة الطاهرة التي أذهب الله تعالى عنها الرجس، وطهّرها من الزيغ والإثم، إنّ الأخبار التي وردت في فضل بعض الصحابة، وسموّ مكانتهم باد عليها آثار الافتعال والوضع، وهي من أعظم ما مني به الإسلام من المآسي، فقد آمن بها بعض المسلمين، واعتقدوا أنّها جزء من عقيدتهم الإسلاميّة. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[2].

---

(١) موسوعة الغدير: ٥: ٥٠٦.

(٢) الأنعام ٦: ١٤٤.

فقه ابن عمر

تصدّى عبدالله بن عمر للفتيا زهاء ستّين عاماً، وأكبر الظنّ أنّ فتاواه كان تستند إلى رأيه الخاصّ، وفي بعض فتاواه كان يستند فيها إلى فتاوى أبيه التي كان معظمها من الاجتهاد قبال النصّ.

ومن الجدير بالذكر أنّ مروان بن الحكم قد شجب فقه عبدالله، وقال: «إنّ ابن عمر ليس أفقه منّي»[(١)].

ومروان ليس له أي باع في الفقه وغيره، وإنّما كان متمرّساً بالباطل، كما طعن الشعبي في فقه ابن عمر، فقال: «كان ابن عمر جيّد الحديث، ولم يكن جيّد الفقه»[(٢)].

وهذا عرض لبعض فتاواه التي لا تتّفق مع النصوص والقواعد الشرعيّة.

إتمامه للصلاة بالسفر

من الأحكام الشرعيّة الشائعة بين المسلمين وجوب قصر الصلاة الرباعيّة على المكلّف في السفر، وقد سار المسلمون على ذلك من أيّام النبيّ ﷺ وفي حكم أبي بكر وعمر، إلّا أنّ عثمان بن عفّان قد أفتى بإتمام الصلاة، وكانت فتاواه موضع نقد له بين المسلمين، وقد اقتدى به عبدالله بن عمر، فكان يصلّي تماماً في السفر مع الإمام القائم ويعيدها قصراً في منزله[(٣)].

وقد أقرّ عبدالله بدعة عثمان التي جافت وابتعدت عن حكم الله تعالى طمعاً بما كان يغدق عليه الحكم الأموي من الأموال.

---

(١) فتح الباري: ٨: ٢٦٠.

(٢) أُسد الغابة: ٣: ٢٢٩.

(٣) موطأ مالك: ١: ١٤٩.

جهله بطلاق زوجته

وكان ابن عمر جاهلاً بأحكام الطلاق ، وهي أن لا يكون في طهر قد واقعها فيه مع اجتماع شاهدين عدلين يسمعان الصيغة ، وهذه من المسائل البسيطة التي كان يجهلها ابن عمر[١] .

وإذا كان بهذه الحالة كيف تولّى الفتيا بين المسلمين في مدّة ستّين عاماً .

إنّ جهل عبدالله بطلاق زوجته هو الذي منع أباه من ترشيحه للخلافة .

قطع الخفّين في الإحرام للنساء

كان عبدالله بن عمر يفتي بقطع الخفّين للنساء[٢] ، ولم يكن مستنداً في ذلك إلى السنّة ، وإنّما هو من اجتهاده ، وقد أخبرته صفيّة عن عائشة أنّها تفتي النساء بعكس ما أفتى به[٣] .

إنّ إحرام النساء بالعمرة والحجّ يختلف عن الرجال ، فهنّ يلبسن المخيط ولا يلبسه الرجل ، وكذلك لا بأس للنساء أن يلبسن الخفّين اللذين الذي يستران ظاهر القدم دون الرجال .

النذر عرياناً

جاء رجل إلى عبدالله بن عمر مستفتياً أنّه نذر أن يقوم على حراء عرياناً يوماً إلى الليل ، فقال له : أوف بنذرك[٤] .

---

(١) صحيح مسلم : ٣ : ٣٧٣ .

(٢) سنن أبي داود : ٢ : ١٦٦ .

(٣) الأمّ : ٢ : ١٤٧ .

(٤) موسوعة الغدير : ١٠ : ٥٧ .

واشترط الفقهاء في صحّة النذر أن يكون متعلّقه مشروعاً، والنذر أن يقوم عرياناً غير مشروع، فلا ينعقد، وقد جهل ابن عمر ذلك، وقد جاء الناذر إلى ابن عبّاس وعرض عليه نذره، فقال له: ألست تصلّي؟

فقال الرجل: أجل.

فقال ابن عبّاس: أعرياناً تصلّي؟

قال الرجل: لا.

فقال ابن عبّاس: أليس حنثت؟ إنّما أراد الشيطان أن يسخر منك ويضحك منك هو وجنوده، اذهب فاعتكف يوماً وكفّر عن يمينك، فأقبل الرجل حتّى وقف على ابن عمر فأخبره بقول ابن عبّاس، فقال: ومن يقدر منّا على ما يستنبط ابن عبّاس[١].

والذي نراه أنّه لا وجه لفتيا ابن عبّاس الاعتكاف يوماً والتكفير عن اليمين، أوّلاً: إنّ النذر غير مشروع وباطل لا يجب الوفاء به، وثانياً: إنّ حكمه بالاعتكاف يوماً لا وجه له وغير مشروع، فإنّ الاعتكاف ثلاثة أيّام ولا يشرع بيوم واحد، مضافاً إلى أنّ حكمه بالتكفير عن اليمين لا وجه له، وذلك لبطلان النذر.

القُبلة ناقضة للوضوء

من فتاوى ابن عمر الشاذّة التي لا مدرك لها من الكتاب والسنّة أنّ القُبلة ناقضة للوضوء، وقد أنكرت ذلك عائشة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم لا يتوضّأ[٢].

أمّا نواقض الوضوء، فقد ذكرها فقهاء المسلمين التي منها ما يخرج من الطريقين، والقُبلة ليست منهما.

---

(١) موسوعة الغدير: ١٠: ٥٧.

(٢) موسوعة الغدير: ١٠: ٦١، نقلاً عن الإجابة للزركشي: ٦:١٠٧.

وممّن ذهب إلى أنّ القبلة تنقض الوضوء الشافعي مقتدياً بابن عمر لأنّه ذهب إلى ذلك[١].

الكراية في مزارعة

وممّا يؤخذ على عبدالله بن عمر جهله بعدم صحّة الإجارة على المزارع، وذلك لجهالة مقدار ما يحصل منها، ويشترط في الإجارة وكذلك البيع أن يكون المستأجر والمبيع معلوماً بالتفصيل لئلّا يلزم منه الغرر المانع من صحّة المعاملة.

وكان ابن عمر في عهد رسول الله ﷺ وفي إمارة أبي بكر وعمر وعثمان وصدراً من خلافة معاوية يكري مزارعه حتّى جاءه رافع بن خديج فسأله ابن عمر عن كراية مزارعه، فقال: كان رسول الله ﷺ ينهى عن كراء المزارع، فتركها، وكان إذا سئل عنها بعد قال: زعم رافع بن خديج أنّ رسول الله ﷺ نهى عنها[٢].

وعلّق الشيخ الأميني على ذلك بقوله: «ألا تعجب من ابن خليفة شبّ ونما وترعرع وشاخ في عاصمة الدين في محيط وحي الله تعالى، في دار النبوّة والرسالة، في مدرسة الإسلام الكبرى بين ناشئة الصحابة، وفي حجور مشيختهم بين اُمّة عالمة، استقى العالم من نمير علمهم، واهتدى الخلائق بنور هداهم وبقي هذا الإنسان في ظلمة الجهل إلى اُخريات أيّام معاوية، وعاش خمسين سنة بإجارة محرّمة، وشدّ به عظمه ومخّه، ونبت بها لحمه وجلده حتّى هداه إلى السنّة رافع بن خديج الذي لم يكن من مشيخة الصحابة، وقد استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر، وكانت السنّة في المحاقلة[٣] والمخابرة»[٤].

---

(١) الاُمّ: ٧: ٦٧٣.

(٢) صحيح البخاري: ٣: ٧٢. صحيح مسلم: ٥: ٢٦.

(٣) **المحاقلة**: بيع الزرع قبل بدو صلاحه، وقيل: بيع الزرع في سنبله بالحنطة.

(٤) موسوعة الغدير: ١٠: ٤١.

وعلى أي حال ، فإنّ هذه المبادرة قد حكت قلّة فقه ابن عمر وجهله بأبسط الأحكام الشرعيّة .

الصلاة خلف مَن غلب

وكان ابن عمر يرى جواز الصلاة مع مَن غلَب ، وإن كان فاسقاً كالحجّاج ومعاوية وأمثالهما من الظالمين ، وقد قال : لا أُقاتل في الفتنة وأُصلّي وراء من غلب(١) .

لقد ترك الصلاة خلف الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وهو رائد الحقّ وأمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، واقتدى بالضالّين والمنحرفين عن الحقّ .

لقد صلّى ابن عمر خلف الحجّاج بمكّة(٢) .

وقال ابن حزم : «كان ابن عمر يصلّي خلف الحجّاج ونجدة »(٣) .

ونجدة هو أفسق مَن في البريّة .

طواف الحائض بعد الإفاضة

ومن شذوذ فتاوى ابن عمر وجهله بأحكام الحجّ أنّه أفتى امرأة قد أفاضت يوم النحر وطافت بالبيت الحرام ، ثمّ نزل عليها الحيض أنّها تقيم بمكّة حتّى تطهر وتطوف طواف الوداع الذي ليس واجباً .

وقد أفتى بمثل ذلك أبوه عمر ، وهو مخالف لما عليه إجماع المسلمين(٤) ، ولكنّ ابن عمر بعد ذلك رجع عن فتياه .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٤ : ١٤٩ .

(٢) فتح الباري : ١٣ : ٤٧ .

(٣) المحلّى : ٤ : ٢١٣ .

(٤) الغدير : ٦ : ١٥٩ ، نقلاً عن البخاري : ٢ : ٦٢٥ .

تحريمه لمتعة النساء

أفتى عبدالله بن عمر بحرمة متعة النساء مقتدياً بأبيه الذي حرّمها ، وألحقها بالزنا ، وقد سئل عبدالله عنها فقال حرام ، فقيل له : إنّ ابن عبّاس يفتي بحلّيّتها ؟

فقال : فهلّا ترمرم بها في زمان عمر(١) .

أمّا حلّيّة المتعة ، فقد أعلنها القرآن بوضوح ، قال تعالى : ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾(٢) ، وتحريمها من الاجتهاد قبال النصّ ، وكان معمولاً بها في أيّام النبيّ ﷺ وفي أيّام أبي بكر وشطراً من خلافة عمر ، ثمّ نهى الناس عنها .

وقد شدّد عمر في تحريمها ، فقد حدّث عبدالله بن عمر عن أبيه أنّه لو أخذ فيها أحداً لرجمه بالحجارة(٣) .

وكان عمر يقول : « والله لا أُوتى برجل أباح المتعة إلّا رجمته »(٤) .

وكان لتحريم عمر للمتعة المضاعفات السيّئة التي من أقساها انتشار البغاء وشيوع الفساد بين الشباب والفتيات . قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **لَوْلا أَنَّ عُمَرَ نَهىٰ عَنِ الْمِتْعَةِ ما زَنىٰ إِلّا شَقِيٌّ** »(٥) .

وليست المتعة إلّا صورة من صور الزواج ، وأي فرق بينها وبين ما إذا عقد على امرأة بالعقد الدائم وشرطت عليه أن يطلّقها بعد ساعة أو بعد يوم ، فقد أجمع فقهاء المسلمين على صحّته .

وعلى أي حال ، فإنّ فتوى ابن عمر ومن قبله أبوه بتحريمها مخالف لنصّ

(١) الدرّ المنثور : ٢ : ١٤١ .

(٢) النساء ٤ : ٢٤ .

(٣) موسوعة الغدير : ١٠ : ٩٢ .

(٤) موسوعة الغدير : ٦ : ٢٩٣ .

(٥) موسوعة الغدير : ٦ : ٢٩٠ .

الكتاب والسنّة.

ومن الجدير بالذكر، أنّه خالف أباه في تحريمه لمتعة الحجّ، فقد أفتى بجوازها، فقد روى سالم، قال: «إنّي لجالس مع ابن عمر في المسجد، إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ، فقال ابن عمر: حسن جميل.

فقال له: إنّا أباك كان ينهى عنها؟

فقال: ويلك، فإن كان أبي نهى عنها، وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به، أفبقول أبي آخذ أم بأمر رسول الله ﷺ، قم عنّي»[(١)].

التطيّب قبل الإحرام

الحاجّ أو المعتمر قبل أن يعقدا الإحرام فإنّهما في حلّ لاستعمال الطيب وغيره ممّا يحرم على المحرم، فله أن يتطيّب ثمّ يحرم، وقد أفتى عبدالله بن عمر بحرمة ذلك اقتداء بأبيه، فقال: لئن أصبح مطليّاً بقطران أحبّ إليَّ من أن أُصبح محرماً أنضح طيباً، وقد سئلت عائشة عن ذلك، فقالت: طيّب رسول الله ﷺ فطاف على نسائه ثمّ أصبح محرماً[(٢)].

مخالفة ابن عمر لفتاوى أبيه

خالف عبدالله بن عمر أباه في كثير من فتاواه حسب ما ذكره روّاس قلعچي، وهي:

١ ـ كان عمر يرى جواز التظلّل للمحرم بحجّ أو عمرة، وكان عبدالله لا يرى جوازه.

---

(١) تفسير القرطبي: ٢: ٣٦٥.

(٢) صحيح البخاري: ١: ١٠٢. صحيح مسلم: ٤: ١٢.

٢ ـ أفتى عمر بجواز الغناء بما هو محلّل للمحرم بحجّ أو عمرة ، وكان عبدالله لا يرى جواز ذلك .

٣ ـ ذهب عمر إلى أنّ للمحرم أن يأكل ممّا اصطاده المحلّ إذا لم يأمره بذلك ، أمّا عبدالله فكان يتورّع من أكله ولا يفتي به .

٤ ـ يرى عمر عدم جواز بيع الأراضي الخراجيّة ، وكان عبدالله يرى جواز ذلك .

٥ ـ كان عمر يرى وجوب استبراء الأمّة إذا اشتريت والاستبراء من قِبل البائع ، وذهب عبدالله إلى وجوب استبرائها من قِبل المشتري .

٦ ـ أفتى عمر بقتل الأسرى ، وخالفه ابنه في ذلك .

٧ ـ يرى عمر أن من نوى الإقامة في سفره ثلاثة فإنّه يتمّ صلاته ، وذهب عبدالله أنّه لا يتمّ المسافر في الصلاة إلّا إذا نوى الإقامة اثنى عشر يوماً .

٨ ـ كان عمر يرى جواز الشراب بالإناء المضبّب بالفضّة بأن يضع الشارب فمه في غير موضع الضبّة ، وكان ابنه إذا سقي به كسره .

٩ ـ أفتى عمر بعدم جواز بيع الأشياء المتنجّسة التي يمكن الانتفاع بها ، وكان ابنه يرى جواز ذلك .

١٠ ـ كان عمر يفتي بوجوب المساواة بين الأولاد في العطيّة ، وكان ابنه يجيز المفاضلة بينهم .

١١ ـ كان عمر يثبت حرمة المصاهرة بالتسرّي ، وكان ابنه لا يرى ذلك .

١٢ ـ كان عمر يكره صلاة سنّة الطواف في أوقات الكراهة ، وكان عبدالله لا يكره ذلك .

١٣ ـ كان عمر يجيز في هدي التمتّع والقِران الشاة ، وكان عبدالله يرى أنّه لا يجزي إلّا البقرة أو الجزور .

١٤ ـ كان عمر يوجب الزكاة في حليّ النساء، وكان ابنه يرى أنّ زكاة الحليّ إعارته.

١٥ ـ كان عمر يرى أن الخلع طلاق بائن، وكان ابنه يرى الخلع فسخاً لا طلاقاً.

١٦ ـ كان عمر يرى أنّ عدّة المختلعة عدّة المطلّقة، وكان ابنه يرى أنّ الواجب في الخلع الاستبراء لا العدّة.

١٧ ـ كان عمر يرى جواز المسح على الخمار في الوضوء، وكان ابنه لا يجيز ذلك.

١٨ ـ ذهب ابن عمر إلى أنّ الجنين إذا خرج من بطن أُمّه بعد ذبحها، وقد تمّ خلقه، ونبت شعره يذبح، وكان أبوه يرى أنّ الجنين إن خرج ميّتاً من بطن أُمّه، وكانت حركته بعد خروجه حركة المذبوح فهو حلال أكله، وإن خرج ميّتاً فلا يحلّ أكله إلّا بعد ذبحه.

١٩ ـ ذهب عمر إلى أنّه لا يثبت الرضاع المحرّم بالمصّة والمصّتين، وكان ابنه يرى ثبوت الرضاع بالمصّة الواحدة.

٢٠ ـ ذهب عمر إلى أنّ العبد المدبر يعتق من رأس المال، وكان ابنه يرى أنّه يعتق من ثلث الميّت وأنّه وصيّة كبقيّة وصاياه.

٢١ ـ كان عمر يرى أنّ المحلّل لا حدّ عليه، وكان عبدالله يرى التحليل زنا.

٢٢ ـ ذهب عمر إلى أنّ نكاح العبد بغير إذن سيّده مخالفة للشرع لا حدّ فيها، وكان ابنه يقول إنّه زنا ويقام عليه الحدّ.

٢٣ ـ كان عمر يرى أنّ السجود لمن قرأ آية السجدة أو سمعها قصداً، وخالفه ابنه فذهب إلى لزوم السجود لكلّ سامع وقارئ.

٢٤ ـ أجاز عمر الغناء وسماعه بشروط، وذهب ابنه إلى عدم جوازه مطلقاً.

٢٥ ـ كان عمر لا يرى صيام يوم الشكّ في رمضان ، وذهب ابنه إلى عدم صيامه إذا كان في السماء غيم .

٢٦ ـ ذهب عمر إلى جواز صلاة الوتر على الأرض لا على الدابّة ، وخالفه ابنه فأجاز الصلاة على ظهر الدابّة .

٢٧ ـ كان عمر يقنت في صلاة الصبح ، وذهب ابنه إلى أنّ القنوت فيها بدعة .

٢٨ ـ ذهب عمر إلى أنّ المأموم إذا سبقه الإمام في صلاته والتحق به ، فإنّه يكون ذلك أوّل صلاته ، وخالفه ابنه فجعل ذلك آخر صلاته .

٢٩ ـ كان عمر يرى أنّ أحقّ الناس بالصلاة على الميّت هو وليّه ، وخالفه ابنه فذهب إلى أنّ أحقّ الناس بالصلاة عليه هو الأمير .

٣٠ ـ كان عمر يرى أنّ رؤية هلال شهر رمضان تثبت برؤية شاهدين ، وخالفه ابنه فذهب إلى ثبوته بشاهد واحد .

٣١ ـ كان عمر يكره صيام الدهر ، وكان ابن عمر يرى جوازه .

٣٢ ـ ذهب عمر إلى أنّ الطلاق إذا وقع بالكناية لا يقع إلّا طلقة واحدة ، وخالفه ابنه فذهب إلى أنّ الكنايات الظاهرة في الطلاق يقع فيها الطلاق ثلاثاً ، وغير الظاهرة يقع بها الطلاق بحسب ما نواه المطلّق .

٣٣ ـ كان عمر يرى أنّ المطلّقة البائن لها النفقة في العدّة ، أمّا ابنه فذهب إلى أنّه لا نفقة لها .

٣٤ ـ كان عمر يرى ثبوت نسبة ولد المقسرّى بها من سيّدها إذا ثبت وطؤه لها ، وخالفه ابنه ، فكان لا يثبت نسبه إلّا إذا ادّعاه .

٣٥ ـ ذهب عمر إلى أنّ المرأة المفقود زوجها يطلّقها وليّها إذا انتهت مدّة تربّصها ، أمّا ابنه فيرى أنّه لا حاجة إلى طلاق الوليّ .

٣٦ ـ ذهب عمر إلى أنّ الميّت يكفّن في ثلاثة أثواب، أمّا ابنه فيرى أنه يكفّن في خمسة أثواب.

٣٧ ـ كان عمر يرى أنّ الواجب في كفّارة النذر هو الواجب في كفّارة اليمين، وخالفه ابنه فذهب إلى أنّ الواجب فيه كفّارة اليمين المؤكّدة.

٣٨ ـ ذهب عمر إلى أنّ اليمين واحدة، وكفّارتها واحدة، أمّا ابنه فذهب إلى أنّ اليمين نوعان: مؤكّد، وغير مؤكّد، وكفّارة كلّ نوع تختلف عن كفّارة النوع الآخر.

٣٩ ـ كان عمر يرى ضرورة الإشهاد في صحّة عقد النكاح، أمّا ابنه فلا يرى ذلك[١].

ومعظم فتاوى عمر وابنه لا تتّفق مع ما أُثر عن أئمّة الهدى عليهم السلام من الأحكام فقد شذّت عنها، ويرى السيّد عليّ الشهرستاني أنّ هذه النقاط الخلافيّة في الفقه بين عمر وابنه عبدالله، وغيرها من المفردات نرى احتداد عمر على ابنه ورميه بالعجز الفقهي والقصور الذهني عن أبسط الأحكام الشرعيّة، فما هو الداعي إذن؟

إنّ الداعي الحقيقي هو أنّ عمر لا يرتضي مخالفات ابنه، وأنّ ابن عمر كان لا يرى رأي أبيه في كثير من الأحيان، وخصوصاً في مسألة طلاق الثلاث في مجلس واحد، وهل يقع ثلاث تطليقات أم واحدة.

لقد كان عمر يصرّ على وقوعه ثلاثاً ردعاً للمسلمين من إكثار الطلاق بخلاف ابن عمر الذي يرى أولويّة اتّباع ما جاء به كتاب الله وسنّة رسوله[٢].

وعلى أي حال، فإنّ مخالفة عبدالله لأبيه في فتاواه تنمّ عن الخلاف الفكري بينهما.

---

(١) منع تدوين الحديث: ١٨٤ ـ ١٨٧، نقلاً عن موسوعة فقه ابن عمر: ٣٣ ـ ٣٩.

(٢) منع تدوين الحديث: ٢٨٧ و ٢٨٨.

عصره .. صور وأحداث

مني العصر الذي عاش فيه ابن عمر بالأحداث الجسام ، والأزمات الخطيرة التي امتحن فيها المسلمون أشدّ ما يكون الامتحان قسوةً وبلاءً ، أحداث مروّعة أخلدت للمسلمين الفتن وألقتهم في شرّ عظيم .

وكان من أقسى ألوان المحن وأشدّها هولاً أنّ الخلافة الإسلاميّة التي هي ظلّ الله تعالى في الأرض ، والتي هي أمل المسلمين ، ومصدر عزّتهم وكرامتهم قد صارت فريسة بأيدي ذئاب الأمويّين ، فأمعنوا في إذلال المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون ، وعمدوا بصورة سافرة إلى مناهضة الإسلام ، والتعتيم على مقوّماته الفكريّة والحضاريّة ، حتّى صار شبحاً مبهماً لا عصب فيه ولا حياة ، وقد جهدوا على إعادة الجاهليّة بتقاليدها وعاداتها وأصنامها وأوثانها التي لا زالت قائمة في أعماق نفوسهم ، ودخائل أفكارهم .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض بصدق وأمانة إلى الأحداث التي عاصرها عبدالله بن عمر ابتداءً من جهاد النبيّ ﷺ في نشر الدعوة الإسلاميّة وإشاعتها بين الناس ، ووضعه للأرصدة الحكيمة في حماية أُمّته من الزيغ والانحراف ، وذلك بنصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ، وقائداً لمسيرة أُمّته ، وبعد انتقاله إلى حظيرة القدس منيت أُمّته بانقلاب مدمّر ، فأُقصي خليفته عن مركزه ، وتوالت بعد ذلك الأحداث الجسام التي أرهقت المسلمين ارهاقاً شديداً ، وفيما يلي ذلك :

إشراق وجهاد

حمل النبيّ ﷺ مشاعل النور، وحرّر العقول، وفتح آفاقاً مشرقة من الوعي والتطوّر لم تعرفها الإنسانيّة من قبل.

لقد فجّر النبيّ ﷺ دعوته الخلّاقة في مجتمع جاهلي غارق في الجهل والتأخّر والانحطاط، قد اتّخذ الأصنام التي يصنعونها آلهة يعبدونها من دون الله تعالى، أو أنّها تقرّبهم إليه زلفى، وقد لاقى النبيّ صنوفاً مروّعة من التنكيل صبّتها عليه قريش، فاتّهمته بالسحر والكذب والجنون، وعذّبت من آمن به بأشدّ أنواع العذاب وأقساه، حتّى اضطرّوا إلى الهجرة للحبشة لحمايتهم من التنكيل، ولم تكن عند النبيّ قوّة تحميه، ولا ركن شديد يأوي إليه سوى عمّه أبي طالب حامي الإسلام، وابنه الإمام أمير المؤمنين بطل الإسلام، فكانا معاً القوّة الضاربة التي حمت النبيّ ﷺ من اُولئك الوحوش الذين جهدوا على تصفية جسده الشريف، وإزالة قيمه وأهدافه.

لقد شهد ابن عمر وهو في فجر الصبا ما عاناه النبيّ ﷺ من المحن الشاقّة التي تعصف بالجبال وهو صامد غير حافل بها في سبيل أداء رسالة ربّه، وإنقاذ اُمّته من التخلّف والانحطاط.

اهتمام النبيّ ﷺ بسعادة اُمّته

اهتمّ النبيّ ﷺ اهتماماً بالغاً بسعادة اُمّته وسيادتها واستقلالها عبر أجيالها الصاعدة، وقد حكى القرآن هذه الظاهرة الفذّة في شخصيّته الكريمة، قال تعالى: **﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾**(١).

---

(١) التوبة ٩: ١٢٨.

لقد جهد النبيّ ﷺ على أن تكون أُمّته خير أُمّة أُخرجت للناس ، تحمل مشاعل النور ، وتضيء الطريق لأُمم العالم ، وشعوب الأرض ، وتشيع فيها العلم ، وآداب السلوك ومحاسن الأخلاق تحت مظلّة من الحكم الرفيع لا سيادة فيه لأحد على أحد ، ولا لقويّ على ضعيف ، فالحاكم والمحكوم في صعيد واحد لا فضل إلّا للمتّقين والعاملين بإحسان ، والقائمين بما ينفع الناس .

الأرصدة لحماية الأُمّة

أقام النبيّ ﷺ رصيدين لحماية أُمّته من الزيغ والانحراف والتردّي في مجاهل الحياة ، وهما :

الأوّل : كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يدعو المسلمين للتي هي أقوم في حياتهم الاجتماعيّة والسياسة الاقتصاديّة ، ويوفّر لهم جميع سبل الأمن والرخاء والارتقاء والنهوض .

الثاني : العترة الطاهرة ، التي ميّزها النبيّ على بقيّة أُمّته ، وفرض الذكر الحكيم مودّتها على جميع المسلمين ، ومن المؤكّد أنّ النبيّ ﷺ لم يقم السادة من أهل بيته خلفاء لأُمّته وقادة لمسيرتها محاباة أو عاطفة ، فإنّ شأن النبوّة أسمى من ذلك وأجل ، وإنّما أقامهم لأنهم أرقى صور الكمال في مواهبهم وعبقرياتهم ونكرانهم للذات ، وزهدهم في الدنيا ، وإنابتهم إلى الله تعالى .

وليس أحد من الصحابة وغيرهم قد ارتقى إلى سلّم الكمال والتجرّد عن آثام الحياة سواهم ، قد وهبهم الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب .

لقد أقام النبيّ ﷺ أهل بيته أوصياء له ، وقادة لأُمّته ليشيعون فيها العدل ، ويقيمون فيها الحقّ ، ويوضّحون لها أحكام الدين ومعالم التشريع .

نصب الإمام خليفة للمسلمين

أقام النبيّ ﷺ الإمام أمير المؤمنين خليفة على المسلمين من بعده ، فهو عملاق هذه الأُمّة ورائد حضارتها ونهضتها الفكريّة ، والمؤسّس الأوّل لحقوق الإنسان من بعده ، والمثل الأعلى لكلّ شرف ونزاهة ، فهو باب مدينة علم النبيّ ﷺ ، والحقّ يسير معه حيثما سار ، وهو من النبيّ ﷺ بمنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لا نبيّ بعده ، وقد نصبه خليفة على المسلمين في غدير خم ، فقال : « **اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ** »(١) وقد بايعه الصحابة أجمعون أكتعون .

روايات ابن عمر في فضل الإمام عليه السلام

روى عبدالله بن عمر كوكبة من الأحاديث عن النبيّ ﷺ في فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسموّ مكانته وعظيم شأنه ، كما رواها غيره ، وهذه شذرات منها :

١ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ : **ألا أُرْضِيكَ يا عَلِيُّ ؟**

قال : **بَلىٰ يا رَسولَ اللهِ .**

قال : **أَنْتَ أَخي وَوَزيري ، تَقْضي دَيْني ، وَتُنْجِزُ مَوْعِدي** »(٢) .

٢ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ لمّا آخى بين أصحابه وآخى بين أبي بكر وعمر وفلان وفلان ، جاء عليّ فقال له : **آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحابِكَ وَلَمْ تُواخِ بَيْني وَبَيْنَ أَحَدٍ ؟**

فقال رسول الله ﷺ : **أَنْتَ أَخي في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »(٣) .

٣ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللّهُمَّ**

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٠٦ .

(٢) مجمع الزوائد : ٩ : ١٢١ . كنز العمّال : ٦ : ١٥٥ .

(٣) موسوعة الغدير : ٣ : ١٦٤ . الجامع الصغير للسيوطي : ٢ : ١٧٦ .

والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ »[١] .

٤ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ : **أنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها»**[٢] .

٥ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ يوم خيبر : **لَأُعْطِيَنَّ هٰذِهِ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ تَعالىٰ عَلىٰ يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسولُهُ »**[٣] .

٦ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال في مرضه : **ادْعُوا لي أخي** ، فدعوا له أبا بكر ، فأعرض عنه .

ثمّ قال : **ادْعُوا لي أخي** ، فدعي له عمر ، فأعرض عنه .

ثمّ قال : **ادْعُوا لي أخي** ، فدعي له عليّ بن أبي طالب ، فستره بثوبه ، وأكبّ عليه .

فلمّا خرج من عنده قيل له : ما قال ؟

قال : **عَلَّمني أَلْفَ بابٍ ، يُفْتَحُ كُلُّ بابٍ إِلىٰ أَلْفِ بابٍ»**[٤] .

٧ - روى عبدالله بن عمر : « أنّ النبيّ ﷺ قال في عليّ : **اللّٰهُمَّ اشْهَدْ... اللّٰهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ هٰذا أخي ، وَابْنُ عَمّي ، وَصِهْري ، وَأَبو وَلَدَيَّ. اللّٰهُمَّ كُبَّ مَنْ عاداهُ في النّارِ»**[٥] .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث الشريفة أجمع الرواة عليها ، وقد أشادت بسموّ مكانة الإمام أمير المؤمنين وعظيم شأنه ، وأنّ النبيّ ﷺ قد أقامه خليفة على المسلمين وقائداً لمسيرتهم .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٠٦ ، وهو ممّن روى حديث الغدير .

(٢) كنز العمّال : ٦ : ١١٠ .

(٣) موسوعة الغدير : ٢ : ٧٤ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٤٢ : ٣٨٥ . تاريخ الإسلام : ١١ : ٢٢٥ .

(٥) كنز العمّال : ٥ : ٢٩١ . المعجم الأوسط : ٦ : ٣٠٠ .

ومن العجب أنّ ابن عمر قد أعرض عنها ولم يبايع الإمام حينما آلت الخلافة إليه ، وقد بايعه جمهور المسلمين ، ولم يتخلّف عن بيعته إلّا هو وبعض المنتفعين من حكومة عثمان والسائرين على الخطّ الأموي.

الانقلاب المدمّر

لمّا انتقل النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس مني المسلمون بانقلاب خطير مدمّر تحدّث القرآن الكريم عن هوله وشدّة محنه وبلائه. يقول تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[1].

إنّه انقلاب على الأعقاب ، وارتداد على الدين ، فقد ظهرت حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، وانبرى بحماس الحزب القرشي بقيادة أبي بكر وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجرّاح إلى صرف الخلافة عن سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وتعالت هتافاتهم مدوّية في رحاب المدينة ، وهو : « أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد ».

وهو شعار مزيّف ومرفوض لا يحمل أي طابع من المنطق والشرعيّة ، أيّ علاقة لقريش بالنبوّة والخلافة ؟ أليست قريش هي التي حاربت النبيّ ﷺ ، وبذلت جميع طاقاتها لإخماد نور النبوّة ، وإعادة الجاهليّة بأصنافها إلى مسرح الحياة ؟

أليست قريش التي أجمعت على تصفية النبيّ حتّى خرج في غلس الليل من مكّة وأنام في فراشه أخاه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ؟

أليست قريش هي التي قادت الجيوش لمحاربة النبيّ ﷺ في المدينة ، فكانت واقعة بدر والأحزاب.

---

(١) آل عمران ٣: ١٤٤.

أليست قريش عذّبت مَن آمن بالنبيّ ﷺ أشدّ ألوان العذاب حتّى اضطرّ المؤمنون إلى الهجرة للحبشة ؟

أيّ علاقة لقريش بالإسلام ، وإنّما الأمر للعترة الطاهرة ، فبيدها تقرير المصير ؟

وعلى أي حال ، فقد تمّ ما أراده القرشيّون من الاستيلاء على الحكم بقيادة أبي بكر ، وقد امتنع عن بيعته والإقرار بحكومته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأعلام الصحابة ، كعمّار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر والزبير ، ومعظمهم أبناء الأوس والخزرج ، ولم تكن البيعة لأبي بكر بإجماع المسلمين ، وإنّما كانت فلتة على حدّ تعبير عمر باني حكومته .

إجراءات صارمة ضدّ العترة

وحينما أعلنت العترة الطاهرة رفضها الكامل لخلافة أبي بكر ، وعدم الإقرار بشرعيّتها ، قابلها أبو بكر بمنتهى القسوة ، فقد هجم ابن الخطّاب على دار وديعة النبيّ ﷺ سيّدة نساء العالمين فاطمة ، وبيده مشعل من النار لإحراقها ، فخرجت إليه زهراء الرسول ﷺ ، فقالت له : **ما الَّذي جِئْتَ بِهِ يابْنَ الْخَطّابِ ؟**

فصاح بها بعنف قائلاً: الذي جئت به أقوى ممّا جاء به أبوك[(١)] .

لقد نسي ابن الخطّاب أوامر النبيّ ﷺ المشدّدة في لزوم مودّة عترته ، ووجوب تعظيمها ، أو أنّه لم يحفل بذلك .

والشيء المؤلم أنّه اعتدى على بضعته حتّى أسقطت جنينها الذي سمّاه رسول الله بالمحسن ، ودخل ابن الخطّاب مع شرطته فأخرجوا الإمام قسراً ليبايع أبا بكر ، وامتنع الإمام من البيعة ، وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث فخلّى سبيله .

وانطوت نفس الإمام على حزن عميق وأسى مرير على ضياع حقّه ، وعدم

---

(١) أنساب الأشراف : ١ : ٥٨٦ .

احترام شخصيّته ، وقد حكت أساه وحزنه خطبه المنتشرة في نهج البلاغة .

وعلى أي حال ، فقد قوبلت عترة النبيّ ﷺ في عهد أبي بكر بمزيد من الاعتداء والاضطهاد ، وسارت على هذا الخطّ الحكومات التي تلت حكومة أبي بكر ، فأمعنت في ظلم السادة العلويّين ، ومعاملتهم معاملة عادية اتّسمت بالبغض والكراهية ، وقد ألقت الستار على وصايا النبيّ ﷺ بالعترة ، وإلزامه بتعظيمهم ومودّتهم .

فوز الأمويّين بحكومة أبي بكر

نظر النبيّ ﷺ إلى حاضر اُمّته ومستقبلها ، فرأى أنّ أخبث أعدائه وأعدائها هم الأمويّون الذين يكنّون له العداء ، ويكيدون لأُمّته في وضح النهار وفي غلس الليل ، فلعن قادتها ، وحذّر المسلمين من الاختلاط والاتّصال بهم ، وقد استشارت امرأة من المسلمين رسول الله ﷺ من الزواج بمعاوية ، وقد خطبها ، فنهاها وقال : **لَا تَتَزَوَّجي مِنْهُ ، فَإِنَّهُ صُعْلوكٌ** .

وقال ﷺ : «**إذا رَأَيْتُمْ مُعاوِيَةَ عَلىٰ مِنْبَري فَاقْتُلوهُ**»(١) .

ورأى النبيّ ﷺ أبا سفيان راكباً على ناقة ، وابنه معاوية يقودها ، وابنه الآخر يزيد يسوقها ، فقال : **اللّٰهُمَّ الْعَنِ الرّاكِبَ وَالْقائِدَ وَالسّائِقَ**(٢) .

وقد عبّر عن وضاعتهم القرآن الكريم ، فعبّر عنهم بالشجرة الملعونة(٣) حسبما ذكره المفسّرون .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٥ : ١٧٦ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ١٤٩ . وقد حرّف الوضّاعون الذين عاشوا على موائد الملوك كلمة «اقتلوه» .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ١١ : ٣٥٧ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾ الإسراء ١٧ : ٦٠ .

وبعد ما تسلّم أبو بكر الحكم والقيادة العامّة للمسلمين تبنّى بني أُميّة بشكل سافر لأنهم من أقوى العناصر في قريش مكراً ودهاء ، فأسند معظم جهاز دولته إليهم .

يقول الشيخ العلائلي : « إنّ الذي فاز بحكومة أبي بكر الأمويّون »[١] .

وقد أسند أبو بكر ولاية الشام إلى يزيد بن أبي سفيان ، وودّعه توديعاً حارّاً في خروجه من المدينة إلى الشام ، فكان يزيد راكباً وأبو بكر ماشياً حسبما ذكره ابن شيبة في أخبار المدينة .

لقد استعمل أبو بكر يزيد والياً على الشام وهو فتى جاهلي ، لم يهذّبه الإسلام ، ولم يعرف من أحكام الله تعالى شيئاً ، ولم يستعمل أحداً والياً على هذا القطر المهمّ من أبناء الأوس والخزرج الذين ساهموا في بناء الإسلام ، وإقامة دعوته ، وأبلوا في سبيله بلاءً حسناً . هذا عرض موجز لحكومة أبي بكر .

(١) سموّ المعنى في سموّ الذات : ٧٥.

حكومة عمر

ولم تطل حكومة أبي بكر ، فقد ألمّت به الأمراض ، وانهارت قواه ، وبعدما أيقن بدنوّ الأجل المحتوم منه عهد بالحكم من بعده إلى باني دولته عمر بن الخطّاب ، ولمّا وافته المنيّة واُلحد في قبره تسلّم عمر قيادة الحكم بقوّة وعزم ، وفرض سلطانه على المسلمين بشدّة وصرامة ، وتهيّب المسلمون لقاءه خوفاً من بطشه ، حتّى ابن عبّاس ، فكان يحذر ويخاف منه ، وقد سار في سياسته على منهج سياسة أبي بكر ، فقد احتفى بالأمويّين واحتفوا به ، وحينما هلك يزيد بن أبي سفيان والي الشام عهد عمر بولايتها إلى أخيه معاوية ، وزاد في رقعة سلطانه ، وكان أعزّ ولاته ، وأقربهم إليه ، فقد توافت له الأنباء أنّه يشرب الخمر ، ويأكل لحم الخنزير ، ويشرب في أواني الذهب والفضّة ، ويفتي بحلّيّة الربا ، وغير ذلك ممّا حرّمه الإسلام ، فيعتذر عنه ويسدّده ، ويقول : « هذا كسرى العرب » .

هل في شريعة الإسلام كسرويّة أو قيصريّة ؟ وهل يباح لكسرى العرب أن يقترف ما حرّم الله ؟

وبلغ من حبّ عمر لمعاوية أنّه كان في كلّ سنة يحاسب عمّاله إلّا معاوية ، فقد أعفاه من ذلك ، ولم يحاسبه ، وبلغ من مودّة عمر للأمويّين أنّه أعطى هنداً اُمّ معاوية أربعة آلاف دينار لتتّجر بها لتكون بمأمن من غائلة الفقر ، وهي التي لاكت كبد حمزة سيّد الشهداء في واقعة اُحُد .

ومن المؤسف أنّ أبا بكر منع سيّدة نساء المسلمين فاطمة عليها السلام من فدك وصادرها وهي التي منحها النبيّ صلى الله عليه وآله لبضعته لتعيش هي وأبناؤها بمأمن من البؤس والفقر .

وعلى أي حال ، لقد وجد الأمويّون في حكومة عمر السعة والرخاء ، كما وجدوها من قبل في حكومة أبي بكر .

والشيء البارز في شخصيّته عدم علمه بالأحكام الشرعيّة ، بل حتّى في نصوص القرآن ، فقد قرأ الآية : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ (١) ، فرفع الأنصار مع أنّه معطوف على المهاجرين ، وهو مجرور ، كما لم يلحق الواو في الذين اتّبعوهم .

فقال له زيد بن ثابت : ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ .

فقال عمر : ائتوني بأُبيّ بن كعب ، فأتاه ، فسأله عن ذلك ، فقال له أُبيّ : إنّي والله قرأتها على رسول الله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ ، وإنّك يومئذٍ تسكن ببقيع الغرقد .

فقال عمر : حفظتم ونسيتها ، وتفرّغتم وشغلنا ، وشهدتم وغبنا (٢) .

اغتيال عمر

كره عمر الفرس ، وكرهوه وتمنّى أن يحول بينهم وبينه جبل من نار أو حديد ، كما حرّم لغتهم الفارسيّة ، واتّخذ ضدّهم إجراءات صارمة ، وقد ورمت منه اُنوفهم ، وامتلأت قلوبهم حقداً وكراهية له ، فقد قدم على اغتياله أبو لؤلؤة الفارسي ، ثمّ عمد إلى قتل نفسه ، وحمل إلى داره وجراحاته تنزف دماً ، وحينما كان يعاني الآلام القاسية تذكّر أهمّ أصحابه الذين طواهم الموت ليقلّدهم الخلافة .

وفقد أبدى حزنه وأساه على سالم مولاه ، وأنّه لو كان حيّاً لولّاه اُمور المسلمين ، وسالم رجل عادي ليس له أي تاريخ يذكر سوى أنّه كان من أخلص أصحابه الذين استعان بهم على الهجوم على دار بضعة الرسول سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، وحمل الإمام قسراً ليبايع أبا بكر .

---

(١) التوبة ٩: ١٠٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين : ٣: ٣٠٥. الدرّ المنثور : ٣: ٢٦٦. جامع البيان : ١١: ٧.

لقد راح يفتّش في سجلّ الأموات من أصحابه ليقلّدهم اُمور المسلمين ، وكأنّ له الولاية عليهم ، ولم يفكّر في الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، ولم يلحظ سموّ منزلته عند رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وأنّه بمنزلة هارون من موسى ، وأنّه باب مدينة علمه ، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه ، وقال الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في حقّه في غدير خم حينما أخذ له البيعة من المسلمين : « **اللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ** » ، كلّ ذلك لم يحفل به عمر ، ولعلّ الوجع أنساه ذلك .

الشورى العمريّة

وشيء آخر في سياسة عمر ضدّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وعظيم إخلاصه للأمويّين ، إنّه فتل حبل الشورى الذي أدّى إلى حتميّة فوز الأمويّين بالحكم ، وصرفه عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام ، وحرمان الاُمّة من مواهبه وعبقريّاته .

لقد أناط الشورى بستّة أشخاص ، وزعم أنّ الإمام أمير المؤمنين أحدهم ، وكان معظم الأعضاء مع الخطّ الأموي الذي أدّى إلى حتميّة فوز عثمان في الحكم .

ابن عمر في الشورى

جعل عمر لولده الإشراف في الشورى ، وليس له رأي متّبع فيها .

يقول الدكتور طه حسين : « وأحضر عمر ابنه عبدالله في الشورى ولم يجعل له من الأمر شيئاً ، لأنّه كان يرى في ابنه ضعفاً عن النهوض بأعباء الخلافة »[١] .

وإذا لم يكن لابنه رأي متّبع فما الفائدة في جعله مشرفاً على انتخاب الرئيس من أعضاء الشورى .

إنّ الشورى التي فرضها عمر هزيلة ومكشوفة لا ستر عليها ، وهي صرف الحكم

---

(١) إسلاميّات : ٧٠.

عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وتحويله لبني أُميّة .

إنّ هذه الشورى مزيّفة ، فإنّ الشورى الصحيحة هي التي تشرك في عملية الانتخاب جميع قطعات الشعب ، ولا يفرض فيها رأي نمط خاصّ كان معظمهم له هوى خاصّ مع الأمويّين ، وقد فضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الشورى العمريّة بقوله :

« **حَتَّىٰ إذا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ** ـ يعني عمر ـ **جَعَلَها** ـ أي الخلافة ـ **في جَماعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيالله وَلِلشُّورَىٰ ! مَتَىٰ اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ** ـ يعني أبا بكر ـ ، **حَتَّىٰ صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَىٰ هٰذِهِ النَّظائِرِ** ـ يعني أعضاء الشورى ـ **! لٰكِنِّي أَسفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا ، وَطِرْتُ إِذْ طارُوا ، فَصَغا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه** ـ أي سعد بن أبي وقّاص ـ ، **وَمالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ** ـ وهو عبدالرحمن بن عوف ـ ، **مَعَ هَنٍ وَهَنٍ إِلَىٰ أَنْ قامَ ثالِثُ الْقَوْمِ نافِجاً حِضْنَيْهِ ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ، وَقامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مالَ الله خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَىٰ أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ** »(١) .

هذه أمثلة من لوعة الإمام وأحزانه صعّدها من هذه الشورى التي دبّرها عمر لصرف الخلافة عنه ، وحرمان المسلمين من الانتهال من نمير علومه وحكمه وآدابه عليه السلام .

وعلى أي حال ، فقد تقلّد عثمان بن عفّان زعيم الأمويّين الخلافة بهذه الشورى التي حاكها ابن الخطّاب ، والتي لا تحمل أي طابع من الشرعيّة ،كما هي بعيدة كلّ البعد عن مصلحة الأُمّة التي هي أوْلى بالرعاية من كلّ شيء .

لقد شاهد عبدالله بن عمر هذه الشورى التي وضع برامجها أبوه ، ووقف على أبعادها ، وهي تحكي بصورة سافرة المؤامرة التي دبّرت لصرف الخلافة عن

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ٣٥.

الإمام عليه‌السلام ، والتي تحكي مدى الكراهية للإمام ، وقد تأثّر عبدالله بهذه الروحيّة التي ملئت نفسه منها ، فامتنع عن بيعة الإمام التي أجمع عليها المسلمون .

حكومة عثمان

تقلّد عثمان بن عفّان أُمور المسلمين بدعم وترشيح من عمر ، وفور تسلّمه للسلطة أسند جهاز الدولة ومقدّرات الأُمّة إلى بني أُميّة وآل أبي معيط ، وصار مروان بن الحكم الذي لقّب بخيط الباطل لخبثه ، وزيره ومستشاره والمدبّر لشؤون دولته يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا إرادة لعثمان في كلّ شأن من شؤون الدولة ، وكان عثمان بيد مروان كالميّت بيد مغسّله .

لقد كان عثمان شديد الولاء لأُسرته ، فقد هام بحبّهم وودّ أن تكون مفاتيح الجنّة بيده ليمنحها لهم .

لماذا هذا الحبّ الأعمى لأُسرته ؟ هل أنّ الأمويّين أسدوا خدمة اجتماعيّة للإسلام حتّى يستحقّوا هذا التكريم وهذا العطف والولاء ؟

أليس هم الذين ناجزوا النبيّ ﷺ الحرب ، وجهدوا على تصفيته جسديّاً ، وتعذيب من آمن به .

الفساد الإداري

وحينما استولى الأمويّون على جهاز الحكم عمدوا إلى نهب أموال الدولة والاستيلاء على جميع المراكز الاقتصاديّة والإداريّة ، وصاروا القوّة الرأسماليّة المسيطرة في البلاد ، وقد وصفهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ وصف وأدقّه قائلاً : **« وَقامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مالَ الله خِضْمَةَ الْإِبِل نِبْتَةَ الرَّبيعِ ، إِلَىٰ أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ »**(١) .

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ٣٥.

ومضافاً لذلك فقد كانوا على جاهليّتهم لا يعرفون أي حكم من أحكام الدين ، قد انغمسوا في شرب الخمر ، وفي اللهو والمجون ، وفي كلّ ما حرّم الله تعالى من منكر وإثم .

فقد صلّى الوليد والي عثمان في الكوفة صلاة الصبح وهو سكران ثمان ركعات ، وقال للمصلّين خلفه : أأزيدكم .

وخاف المسلمون على دينهم ، فخفّ جماعة من المصلّين إلى يثرب يشكونه إلى عثمان ، فزجرهم واتّهمهم بالبغض له ، فأنكر الإمام أمير المؤمنين ذلك ، وطلب إحضار الوليد وإقامة البيّنة عليه ، وبعث عثمان خلفه ، فلمّا حضر قامت البيّنة عليه بشرب الخمر ، ولم يقم أحد من الحاضرين فيقيم عليه الحدّ ، فانبرى الإمام فأقام عليه الحدّ ، وعثمان يتحرّق غيظاً من الإمام وينكر عليه ضربه للوليد ، فلم يحفل به الإمام .

وعلى أي حال ، فقد عاش الأمويّون بترف وفسق ومجون غير حافلين بنقمة المسلمين وإنكارهم لأنّهم في حماية عميدهم عثمان زعيم الدولة .

التنكيل بالقوى المعارضة

ولم يقتصر الفساد الإداري في حكومة عثمان على خلاعة الأمويّون ونهبهم لأموال المسلمين ، وإنّما تعدّى إلى التنكيل بالقوّى المعارضة لسياسته ، وكانت المعارضة تضمّ أعلام الصحابة وخيار المسلمين ، كعمّار بن ياسر وأبي ذرّ وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم .

أمّا عمّار بن ياسر الطيّب ابن الطيّب الذي هو من ألمع الصحابة ، ومن أكثرهم جهاداً وحريجة في الدين ، فقد أنكر على عثمان حينما أخذ قلادة من الذهب من بيت المال ، ووهبها لبعض نسائه ، وليس له من سبيل في التصرّف بأموال

المسلمين، وغضب عثمان، فأوعز إلى شرطته بضربه والتنكيل به، فقاموا بـذلك حتّى سقط مغشيّاً عليه، وقد أثار ذلك موجة من السخط عليه.

أمّا عبدالله بن مسعود، فقد كان خازن بيت المال في الكوفة، فأخذ الوليد والي عثمان يتصرّف في بيت المال حسب شهواته ورغباته، فأنكر عليه عبدالله، ورفع أمره إلى عثمان، فأمر بعزله وإخراجه من الكوفة، وحرمانه من العطاء.

وأمّا أبو ذرّ المصلح الاجتماعي، فقد رأى صادقاً يكذّب، وكاذباً يصدّق، وأثرة بغير تقى، فأنكر على عثمان هذه السياسة السوداء، فأمر بنفيه إلى الشام.

ولمّا أقام هناك رأى سياسة معاوية التي تفجّرت بكلّ ما خالف كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، فأخذ ينكر ذلك، ويدعو المسلمين إلى مقاومة هذه السياسة، فضاق معاوية ذرعاً منه، وكتب إلى عثمان بأمره، فأمره بإرساله إلى المدينة بعنف، ولمّا انتهى إليها قابله عثمان بقسوة، وأمر بنفيه إلى الربذة، فأقام فيها غريباً حتّى توفّي جائعاً، وبيد عثمان ذهب المسلمين ينفقه بسخاء على بني أُميّة وآل بني معيط.

تذمّر المسلمين

وشاع التذمّر بين المسلمين في أنديتهم ومجالسهم الخاصّة والعامّة من سياسة عثمان، وسوء حكمه، وأفتت عائشة بكفره وقتله، فقالت: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»، وخفّ إليه وجوه المسلمين يطالبونه بالاعتدال وإبعاد الأمويّين عنه، فيجيبهم إلى ما طلبوا، وسرعان ما ينقض ما وعدهم به تحت تأثير وضغط مروان عليه.

لقد نقم المسلمون على عثمان سوء سياسته المنافية لأحكام الإسلام وقيمه التي ألزمت ولاة الأُمور بالاحتياط بأموال المسلمين وعدم إنفاقها إلّا على إشاعة الرخاء بينهم، وتطوير حياتهم، ولم يلتزم عثمان بذلك، وإنّما سلّط عليها الذئاب من أُسرته، فأنفقوها على شهواتهم ورغباتهم.

موقف عبدالله بن عمر من عثمان

أغرى عبدالله بن عمر عثمان على البقاء في السلطة والتمسّك بها ، وإن أدّى ذلك إلى قتله ، فقد قال له عثمان وهو محصور: ما تقول فيما أشار به على المغيرة بن الأخنس ؟ قال : ما هو ؟

قال : إنّ هؤلاء القوم يريدون خلعك ، فإن فعلت وإلّا قتلوك ، فدع أمرهم إليهم ، فقال له عبدالله : أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك ؟

قال : لا .

فقال عبدالله : لا أرى أن تسنّ هذه السنّة في الإسلام ، فكلّما سخط قوم على أميرهم خلعوه لا تخلع قميصاً قمّصكه الله[1].

ومتى كانت الخلافة قميصاً منحه الله له ؟ إنّ الذي منحه السلطة عمر بن الخطّاب .

وعلى أي حال ، فإنّ رأي ابن عمر على عثمان من أهزل الآراء وأكثرها ضحالة وفساداً ، فقد أشار عليه بالقتل ولا يخلع نفسه من الحكم ، وقد جرّ ذلك الويل والدمار للأمّة وألقاها في شرّ عظيم .

الإجهاز على عثمان

ولم يألف المسلمون سياسة عثمان ، ونقموا عليه أشدّ ما يكون الانتقام ، وقد رفع أعلام الصحابة إلى ولاة الأقاليم الإسلاميّة رسائل يستنجدون بها لإزالة الكابوس المظلم المخيّم عليهم ، واستجابت بعض الأقطار الإسلاميّة لهم ، فأرسلت الكوفة فرقة من الجيش ، وكذلك أرسلت مصر ، فالتقوا بعثمان وعرضوا عليه فساد جهاز

---

(١) أنساب الأشراف : ٥ : ٧٦.

حكومته ، وطالبوه بالإصلاح ، فأجابهم إلى ذلك ، إلّا أنّه سرعان ما نكث عهده بتأثير مروان ، ولم يجد الثوّار مجالاً لإصلاحه أو اعتزاله عن الحكم ، فأجمعوا على تصفيته جسديّاً ، فهجم عليه محمّد بن أبي بكر مع جماعة من أبناء الصحابة ، وتركوه جثّة هامدة ، وسحبوا جنازته إلى مكان غير لائق فألقوها به ، ولم يسمحوا بمواراته ، وتكلّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع بعض قادة الانقلاب في دفنه ، فاستجابوا له ، فدفن في حش كوكب وهو مقبرة لليهود .

وبهذا انتهت حكومة عثمان ، وقد أخلدت للمسلمين الفتن والمصاعب ، فقد اتّخذ الأمويّون والطامعون دمه ورقة رابحة لنيل أهدافهم السياسيّة .

وعلى أي حال ، فإنّ حكومة عثمان وما سارت عليه وأعقبته من الأحداث الجسام كانت ناجمة عن مؤتمر الشورى الذي ألقى المسلمين في شرّ عظيم .

حكومة الإمام عليه السلام

وأجمع خيار الصحابة ومعهم القوّات المسلّحة على انتخاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لقيادة الأُمّة وحاكماً عليها ، إلّا أنّ الإمام امتنع من إجابتهم أشدّ ما يكون الامتناع ، وذلك لما تركته حكومة عثمان وما قبلها من انهيار الأخلاق وشيوع الأطماع ، وغير ذلك من الأزمات الاجتماعيّة التي من أشدّها اختلاس الأمويّين لأموال الدولة ، وما منحهم عثمان من الأراضي حتّى صاروا أقوى قوّة رأسماليّة في بلاد المسلمين ، لقد وقفت هذه الأُمور أمام الإمام فوضعت الحواجز والسدود أمام مخطّطاته الإصلاحيّة .

واستجاب الإمام على كره لتقلّد الحكم ، كما خاف أن ينزو إلى مركز الخلافة من لا حريجة له في الدين ، فيواجه المسلمين أشدّ ممّا عانوه في أيّام عثمان .

وعلى أي حال ، فلمّا أعلن الإمام قبوله للخلافة عمّت الأفراح في الأوساط الشعبيّة ، وسادت المهرجانات ، وأُلقيت خطب التأييد من بعض الصحابة ، وقد امتنع من بيعة الإمام والإقرار بحكومته عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص والد عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام ، ونفر يسير من المنافقين ، ولم يتّخذ الإمام معهم أي إجراء مضادّ لهم ، فقد آمن بحرّيّة الناس وعدم إجبارهم على ما يكرهون .

موقف ابن عمر من البيعة للإمام

امتنع ابن عمر أشدّ ما يكون الامتناع عن البيعة العامّة للإمام متأثّراً بروح أبيه الذي هو أوّل من صرف الخلافة عنه ، وقد أمر الإمام بإحضاره ، فلمّا مثل أمامه قال له : بايعْ .

فقال ابن عمر : لا أُبايع حتّى يبايع جميع الناس .

لقد بايعه الناس جميعاً سواه ، إلّا أنّ بعض المتمرّدين على الحقّ الذين لا يتجاوز عددهم سبعة أشخاص امتنعوا من بيعته ، ولم يجبره الإمام على البيعة ، وإنّما طلب منه خميلاً ، أي كفيلاً ، أن لا يحدث فتنة ولا فساداً ، فقال له بوقاحة : لا أُعطيك خميلاً ، وكان الزعيم مالك الأشتر حاضراً ، فقال للإمام : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا قد أمن سوطك وسيفك ، فدعني أضرب عنقه ؟

فانبرى الإمام قائلاً : **لَسْتُ أُريدُ ذلِكَ مِنْهُ ، خَلُّوا سَبيلَهُ** ، فخرج مذموماً مدحوراً ، وقال فيه الإمام : **لَقَدْ كانَ صَغيراً وَهُوَ سَيِّئُ الْخُلُقِ ، وَهُوَ في كِبَرِهِ أَسْوَأُ خُلُقاً**(١) .

ونقل بعض الرواة أنّ ابن عمر جاء إلى الإمام في اليوم الثاني ، وقال للإمام : إنّي لك ناصح ، إن بيعتك لم يرض بها الناس كلّهم ، فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين ؟

لقد استغلّ موقف الإمام تجاه المعارضة ، فلم يتّخذ معهم الشدّة والصرامة ، فقال له : **وَيْحَكَ ! وَهَلْ ما كانَ عَنْ طَلَبٍ مِنّي لَهُ ؟ أَلَمْ يَبْلُغْكَ صَنيعُهُمْ فِيَّ**(٢) .

حكى كلام الإمام ما عاناه من المسلمين من إرغامه على المبايعة وهو كاره لها ، فطرده الإمام ، ووصل للإمام إنّه هرب إلى مكّة ليفسد الناس ، فبعث خلفه ، فجاءت ابنته أُمّ كلثوم ، فسألت الإمام وتضرّعت إليه قائلة إنّه خرج إلى مكّة ليقيم فيها ، وهو ليس بصاحب سلطان ، ولا هو رجل له شأن ومكانة ، فأعرض عنه(٣) .

وقال الشيخ الأميني : هلمّوا معي يا أُمّة محمّد نسأل ابن عمر كيف بايع أبا بكر ولم يجتمع عليه الناس ، وإنّما كانت بيعته فلتة ، وقد تخلّف عنها خيار المسلمين

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٤ : ٩.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤ : ١٠.

(٣) موسوعة الغدير : ١٠ : ١٥٩ ، نقلاً عن جواهر الأخبار للصعدي المطبوع في ذيل كتاب البحر الزخّار : ٧ : ١٤١.

وصلحاؤهم ،وبيعة أبيه التي رفضها خيار المسلمين وقالوا لأبي بكر ما تقول لربّك وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً .

لقد امتنع ابن عمر عن بيعة الإمام عليه السلام والصلاة خلفه ، بينما بايع معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان ، وصلّى خلف الحجّاج .

ابن عمر والإمام عليه السلام

كان عبدالله بن عمر حاقداً على الإمام ، ويقدّم بقيّة الصحابة عليه ، ولا يرى له أهمّيّة ، فقد قال : كنّا في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثمّ عمر ، ثمّ عثمان ، ثمّ نترك أصحاب النبيّ لا نفاضل بينهم[١] .

ومن المؤكّد أنّ التفاضل بين صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وتقديم الأفضل على غيره يحتاج إلى مزيد من الخبرة والفضل والإدارك والتقدّم في السنّ ، وعبدالله بن عمر كان في شرخ الشباب ، ولم تكن له الأهليّة في تمييز الأفضل عن غيره ، ولكنّ الحقد الدفين هو الذي دفعه إلى الغضّ من شأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، بطل الإسلام ، ولم يكن لأبيه وغيره المكانة التي حظي بها الإمام عند رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعلّق الأستاذ السيّد باسم الحلّي على هذه المقالة بقوله : « وإذن فابن عمر لا يعتقد بأنّ لأمير المؤمنين عليّ الأهليّة لأن يكون رابعاً للثلاثة الذين سبقوه من الخلفاء ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وهذا هو الذي دفعه لأن لا يبايعه إلى أن مات ، ولم نجد تفسيراً لهذه العقيدة التي أغرق ابن عمر بالافراط فيها ، فضلاً عن كونه لا يطيق الانسجام مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الأساس ، إلّا ما كان عليه من العثمانيّة التي أخلص لها نفسه ، ونذر لها كيانه »[٢] .

---

(١) صحيح البخاري : ٤ : ٢٠٣ . صحيح ابن حبّان : ١٦ : ٢٣٧ .

(٢) عبدالله بن عمر : ٣٨١ و ٣٨٢ .

إجراءات حاسمة

وفور تقلّد الإمام عليه السلام للحكم قام بتنفيذ ما يلي من الأُمور المهمّة في سياسته، وهي:

١ ـ مصادرة الأموال المنهوبة من بيت المال أيّام عثمان، ولم يقتصر ذلك على مصادرة أموال ولاته وعمّاله، وإنّما على ما استولى عليها عثمان بغير حقّ، وإرجاعها إلى بيت المال.

٢ ـ عزل ولاة عثمان من الأمويّين وغيرهم الذين عاثوا فساداً في أجهزة الدولة، وعزل فوراً الذئب الجاهلي معاوية بن أبي سفيان، الذي لقّبوه بكسرى العرب، وقد أشار المغيرة بن شعبة على الإمام إبقاءه في الحكم، فلم يعن به، لأنّ بقاءه لحظة واحدة إبقاء للظلم والجور والفساد.

وهكذا واجه الأمويّون ضربة قاصمة في عهد الإمام استهدفت القضاء على نفوذهم وغطرستهم، وسلب ما اختلسوه من بيت المال، وعادوا يلاحقهم العار والذلّ كما كانوا في أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله لا نصيب لهم من الكرامة والاحترام ينظر إليهم المسلمون نظرة ريبة وشكّ في إسلامهم.

فزع القرشيّين

وورمت أُنوف القرشيّين وانتفخ سحرهم من حكومة الإمام التي استهدفت القضاء على مصالحهم، ومنافعهم اللّامشروعة، فعقدوا مؤتمراتهم في الكواليس لإسقاط حكومة الإمام القائمة على الحقّ والعدل، ولم يجدوا سبباً يتمسّكون به لإعلان تمرّدهم على الإمام سوى اتّهامه بإيواء قتلة عثمان، وعدم مطالبته بدمه، وهو اتّهام رخيص، فإنّ الذين أجهزوا على عثمان هم خيار المسلمين، وسائر القوّات المسلّحة التي وفدت إلى المدينة بطلب من الصحابة، ولا علاقة للإمام

بدم عثمان .

تمرّد عائشة

أمّا عائشة فهي في طليعة الناقمين على عثمان ، والمؤجّجين لنار الثورة عليه ، فكانت تخرج قميص رسول الله ﷺ وتنشره بين المسلمين قائلة : هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته ، كما أفتت بكفره وقتله قائلةً : « اقتلوا نـعثلاً فقد كفر »(١) .

ولمّا أشعلت نار الحرب عليه خرجت إلى مكّة ، وكانت تترقّب الأحداث بفارغ الصبر ، ولمّا قتل عثمان خرج من المدينة شخص من أخوالها ، فبادرت إليه قائلة : مهيم .

قتل عثمان .

فسارعت قائلة : من صار بعده ؟

عليّ .

وفقدت صوابها ، وراحت تقول : ليت هذه ـ وأشار إلى السماء ـ أطبقت على هذه ـ يعني الأرض ـ أن تمّ الأمر لابن أبي طالب .

ثمّ راحت تقول : قتل عثمان مظلوماً ، فوالله لأطلبن بدمه .

وبهر الرجل من هذا التناقض في كلام عائشة وخاطبها : والله إنّك أوّل من أمال حرفه(٢) .

وتمسّكت عائشة برأيها الرافض لبيعة الإمام ، وإعلان التمرّد على حكومته .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٣ : ٤٧٦ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٠٦ .

الخطاب السياسي لعائشة

خطبت عائشة في مكّة خطاباً سياسيّاً حمّلت فيه المسؤوليّة في إراقة دم عثمان على الغوغاء ، فهم الذين سفكوا الدم الحرام في الشهر الحرام ، وإنّهم قتلوا عثمان بعد ما أقلع عن ذنوبه وأخلص في توبته ، ولا حجّة لهم فيما اقترفوه من سفك دمه[1].

وحفل خطابها بالمغالطات السياسية ، فإنّ الغوغاء لم يسفكوا دمه ، وإنّما سفك دمه عائشة بالذات ومعها أعلام الصحابة ، فأيّة علاقة للغوغاء في سفك دمه .

أمّا توبة عثمان ، فقد أعلنها مراراً ، إلّا أن بني اُميّة حملوه على التراجع عنها حتّى قتل .

ومهما يكن الأمر ، فإنّ خطاب عائشة كان أوّل بادرة لإعلان العصيان والتمرّد على حكومة الإمام ، وكان الأجدر بها أن تدعو إلى وحدة وجمع الكلمة ، والدعم للإمام الذي يمثّل أهداف النبيّ ﷺ من العزّة والكرامة لاُمّته .

تمرّد طلحة والزبير

نقم على الإمام كلّ من طلحة والزبير لأنّهما أرادا المشاركة في الحكم ، أراد طلحة ولاية البصرة ، وأراد الزبير ولاية الكوفة ، ومن المؤكّد أنّهما أرادا الظفر بخيرات البلاد والتلاعب باقتصاد الاُمّة ، فارتاب منهما ولم يستجب لهما ، فخفّا إليه مرّة ثانية ، وأقسما أنّهما يريدان العمرة ، وهو قسم كاذب ، إنّهما يريدان الغدرة ، والالتحاق بعائشة التي رفعت علم المعارضة على حكومة الإمام .

فرمقهما الإمام بطرفه ، وعرف ما انطوت عليه نفساهما من الغدر والخيانة ، وقال

---

(١) تاريخ الاُمم والملوك : ٤ : ١٧١ .

لهما : ما العمرة تريدان ، ولكن تريدان الغدرة . نعم ، أرادا اختلاف الكلمة وتصديع الشمل وإشاعة الفتنة بين المسلمين وسمح لهما الإمام بمغادرة المدينة ، ولم يفرض عليهما الإقامة الجبريّة فيها ،كما فرضها عمر على الصحابة ، وخرجا مسرورين كأنّما أُتيح لهما الخلاص من السجن ، والتحقا بعائشة فوجداها ملتهبة لا تملك نفسها حقداً على الإمام ، وقد احتفّ بها عمّال عثمان وولاته من الأمويّين ، ورهط من الغوغاء ، وهي تنادي دجلاً بالطلب بدم عثمان والاقتصاص من قتلته وهي التي أفتت بكفره وقتله .

وانضمّ إليها طلحة والزبير ، وقد اتخذاها واجهة لهما لإعلان التمرّد على حكومة الإمام التي هي امتداد لحكومة النبيّ ﷺ .

الزحف لاحتلال البصرة

وأجمعت القيادة العسكريّة التي تضمّ عائشة وطلحة والزبير على احتلال البصرة ، لأنّ لهم بها أتباعاً ، وجعلها قاعدة للإطاحة بحكومة الإمام .

وزحف جيش عائشة البالغ عدده عشرة آلاف جندي مسلّح لاحتلال البصرة لمحاربة وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه ، وبعد ما انتهى إليها هجموا على الحكومة المركزيّة ، واستطاع جيش عائشة احتلال البصرة ، وزجّ حاكمها عثمان بن حنيف في السجن والاستيلاء على بيت المال وأخذ ما فيه .

ولمّا علم الإمام بتمرّد هذا الجيب زحف بجيشه للقضاء عليه ، ومعه خيار الصحابة وأعلام الإسلام الذين كانوا حاشية النبيّ ﷺ ، ولمّا انتهى الإمام إلى البصرة كان أهمّ شيء عنده عدم إراقة الدماء ونشر العافية والسلام بين المسلمين ، فبعث رسله إلى عائشة وطلحة والزبير يدعوهم إلى السلم ، وجمع الكلمة ، ويحذّرهم من عقاب الله تعالى فلم يستجيبوا له ، وأصرّوا على التمرّد والعصيان .

وبدأ جيش عائشة بالحرب والتحم مع جيش الإمام بأعنف المعارك وأشدّها

ضراوة ، والتقى الإمام بالزبير فذكّره بحديث رسول الله ﷺ إنّك تقاتله وأنت له ظالم .

وذكر الزبير حديث رسول الله ﷺ ، فانهزم عن ساحة الحرب إلّا أنّه لم يبعد قليلاً حتّى قتل ، وأمّا طلحة فقد رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله ، وبقي الجيش يقاتل وبيد عائشة صرّة من المال تلوّح بها أمام جندها قائلة : « من جاءني برأس الأصلع ـ يعني عليّاً ـ فله هذه الصرّة » ، واستمرّ القتال على أشدّه يريد أصحاب الإمام أن يحرزوا النصر لوصيّ الرسول ﷺ ، ويريد أصحاب عائشة أن يحموا اُمّهم ، وهجم فيصل من جيش الإمام على جمل عائشة فطعنوه برماحهم فهوى إلى الأرض ، وانهزم جيش عائشة شرّ هزيمة ، وحملت عائشة إلى أحد بيوت البصرة لم تتعرّض لأيّ مكروه ، فقد عاملها الإمام باللطف ، وأصدر عفواً عامّاً لجميع أنصارها ، وبقيت عائشة في البصرة أيّاماً ثمّ سرّحها الإمام تسريحاً جميلاً إلى المدينة ، وأمرها أن تقرّ في بيتها الذي أمرها الله ورسوله أن تقرّ فيه .

وانتهت هذه الحرب التي سمّاها المؤرّخون بحرب الجمل ، التي أعقبت الويل والدمار للمسلمين ، فقد انتشر الحزن والحداد في البصرة والكوفة ، وقدّرت الخسائر بين الفريقين بعشرين ألف قتيل . مَن هو المسؤول عن إراقة هذه الدماء التي سفكت بغير حقّ ؟ ومن المؤكّد أنّها من النتائج المباشرة لمؤتمر الشورى الذي صمّم لصرف الخلافة عن الإمام أمير المؤمنين .

موقف ابن عمر

كان موقف عبدالله بن عمر أمام هذه الحرب الظالمة التي شنّتها عائشة ضدّ أخي رسول الله ﷺ غير واضح المعالم ، فلم يدرِ أنّها على هدى أم على ضلال ،كما أعلن ذلك مراراً ، وهو اعتذار مهلهل ومرفوض ، وذلك لما يلي :

١ ـ إنّ النبيّ ﷺ أشاع بين المسلمين أنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ مع عليّ ، ودعم ذلك بكثير من أحاديثه التي أشادت بسموّ مقامه ، وأنّه نفس النبيّ ﷺ ، وقد روى

هو كوكبة من الأحاديث النبويّة في فضله التي لا تدع مجالاً للشكّ في ضلال من خرج عليه .

٢ ـ هل إنّ الإمام استأثر بأموال المسلمين كما استأثر عثمان بن عفّان حتّى يكون مبرّراً لمن حاربه .

٣ ـ هل منح الإمام وظائف الدولة ومراكزها المهمّة إلى أرحامه وأبناء اُسرته ، كما فعل ذلك عثمان حتّى يكون هناك وجه للخروج على حكومته ، فليس هناك أي مبرّر لعبد الله بن عمر لموقفه المتّسم بالريبة والشكّ في ضلال الخارجين على الإمام عليه السلام .

احتجاج آخر مع ابن عمر

احتجّ شخص آخر على عبدالله بن عمر على تركه الجهاد للفئة الباغية التي ناجزت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً له : يا أبا عبدالرحمن ، ما الذي حملك على أن تحجّ عاماً وتعتمر عاماً ، وتترك الجهاد في سبيل الله ، وقد علمت ما أعدّ الله تعالى فيه ؟

وأجابه ابن عمر قائلاً: يابن أخي ، بني الإسلام على خمس : إيمان بالله تعالى ورسوله ، وصلاة الخمس ، وصيام شهر رمضان ، وأداء الزكاة ، وحجّ البيت .

وراح الرجل يفنّد رأي ابن عمر ببالغ الحجّة قائلاً: يا أبا عبدالرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ** ﴾ ، فما يمنعك أن تقاتل الفئة الباغية كما أمر الله تعالى في كتابه ؟

وهو منطق حافل بالحجّة التي لا مفرّ منها ، وراح ابن عمر يبدي معاذيره قائلاً: يابن أخي ، لئن أعتبر بهذه الآية فلا اُقاتل أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول

الله عزّ وجلّ فيها: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ** ﴾[١].

وردّ عليه ببرهان قاطع قائلاً: ألا ترى أنّ الله تعالى يقول: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ** ﴾[٢].

وراح ابن عمر يلتمس الأعذار الواهية التي لا تقف أمام البرهان قائلاً: قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان أهل الإسلام قليلاً، وكان الرجل يفتن في دينه، أمّا أن يقتلوه وأمّا أن يسترقّوه، فلمّا كثر أهل الإسلام فلم يكن فتنة.

ولم يكن هذا الجواب مقنعاً، فقال له الرجل: ما قولك في عليّ وعثمان؟

فقال ابن عمر: أمّا عثمان، فكان الله عفا عنه، وكرهتم أن يعفو، وأمّا عليّ فابن عمّ رسول الله ﷺ وحبيبه، ومن أهل بيته وزوج ابنته[٣].

٤ ـ إنّ موقف ابن عمر منافٍ لنصّ القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[٤].

وهل ابن عمر من الغباء بدرجة أنّه لم يعرف الحقّ من الباطل، والرشد من الضلال؟ ألم يسمع قول رسول الله ﷺ لعائشة: «**كَأَنّي بِكِ تَنْبَحُكِ كِلابُ الْحَوْأَبِ، تُقاتِلينَ عَلِيّاً وَأَنْتِ لَهُ ظالِمَةٌ**»[٥]؟

---

(١) النساء ٤: ٩٣.

(٢) البقرة ٢: ١٩٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٣١: ١٩٢.

(٤) الحجرات ٤٩: ٩.

(٥) العقد الفريد: ٢: ٢٨٣. الغدير: ٣: ١٨٩.

أولم يسمع قول النبيّ ﷺ للزبير: «**إنّك تقاتل عليّاً وأنت له ظالم**»[١].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن النبيّ ﷺ في الإمام، فكيف خفيت على ابن عمر حتّى لم يعرف أنّ حرب عائشة للإمام كانت على ضلال.

وأخيراً ندم على ما فرّط في أمر نفسه، فلم يقاتل مع الإمام تلك الفئات الضالّة التي اندفعت وراء مصالحها السياسيّة التي هي بعيدة كلّ البعد عن الحقّ، فقال: «ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا، إلّا إنّي لم أُقاتل مع عليّ الفئة الباغية».

وقال حينما حضرته الوفاة: «ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلّا إنّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب»[٢].

رجل يحاجج ابن عمر في اعتزاله

قصد رجل من ذوي النباهة والفضل عبدالله بن عمر، وقد احتفّت به جمهرة من أصحابه، فقال له بناعم القول: يا أبا عبدالرحمن، إنّي والله حرصت أن أسمت بسمتك، واقتدي بك في أمر فرّقه الناس، واعتزل الشرّ ما استطعت، وإنّي أقرأ آية محكمة من كتاب الله قد أخذت بقلبي فأخبرني عنها، أرأيت الله تعالى قال: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ أخبرني عن هذه الآية؟

وعرف ابن عمر مغزى كلامه، فقال له: ما لك وذاك، انصرف عنّي، فانطلق الرجل.

فقال عبدالله لأصحابه: ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الآية، إنّي

---

(١) الإمامة والسياسة: ١: ٦٨. الإصابة: ٢: ٤٦٠.

(٢) مجمع الزوائد: ٧: ٢٤٢. الاستيعاب: ٣: ٩٥٣.

لم أُقاتل هذه الفئة الباغية[١].

عائشة مع ابن عمر

ندمت عائشة على حربها للإمام عليه السلام ولامت عبدالله بن عمر لأنّه لم ينصحها بعدم الخروج لحرب الإمام قائلة له: ما منعك أن تنهاني عن مسيري في حرب الجمل ؟

فقال لها: رأيت رجلاً قد استولى عليك، وظننت أنّك لن تخالفيه ـ يعني عبدالله ابن الزبير ـ الذي قد استولى عليها وزجّها في هذه الحرب الظالمة.

تمرّد معاوية

ولم يكد ينتهي الإمام من محنة حرب الجمل حتّى وافته محنة أُخرى أشدّ بلاءً، وأعظم خطراً، وهي تمرّد معاوية وإعلانه العصيان المسلّح على حكومة الإمام، وقد فتحت له عائشة أبواب التمرّد على حكومته، ومهّدت له الطريق متّخذة دم عثمان ـ الذي أفتت بكفره وقتله ـ وسيلة للمطالبة بدمه.

وسلك هذا الطريق معاوية، فهو أوْلى منها بعثمان، لأنّه من أرحامه، وأقرب إليه منها، وقد احتفّ به مكرة الدبلوماسيّين ودهاتهم، أمثال عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة، كما استعان بوعّاظ السلاطين الذين يعيشون على موائده أمثال الشيخ أبي هريرة شيخ المضيرة، فخدعوا غوغاء أهل الشام بأنّ عثمان بن عفّان من أقدس المسلمين، ومن أكثرهم تقوى وإنابة إلى الله تعالى، وأنّه قتل مظلوماً، واعتدي عليه بغير حقٍّ، فأخذوا يذرفون الدموع، ويتحرّقون شوقاً للطلب بدمه ويحثّون معاوية للأخذ بثأره، وفعلاً فقد زحف بهؤلاء السذّج الذين لا يملكون وعياً سياسيّاً ولا دينيّاً إلى صفّين، فاتّخذها مقرّاً لهم، وقد احتلّت قوّاته حوض الفرات، واعتبروا

---

(١) الدرّ المنثور: ٦: ٩٠. تاريخ مدينة دمشق: ٣: ١٩٣.

ذلك أوّل النصر ليهلك جيش الإمام عطشاً إذا قدم بجيشه لمناجزتهم .

خداع معاوية لابن عمر

وكان من خداع معاوية ومكره أنّه بعث عمرو بن العاص لعبدالله بن عمر ليختبره ، ويقف على حقيقة حاله ، فقال له بناعم القول : « يا أبا عبدالرحمـٰن ، ما يمنعك أن تخرج فنبايعك ، وأنت صاحب رسول الله ﷺ ، وابن أمير المؤمنين ـ يعني عمر ـ وأنت أحقّ الناس بهذا الأمر . . . » .

ورفض ابن عمر رأي ابن العاص ، وعرف أنّها مكر وخديعة(١) .

زحف الإمام لمناجزة معاوية

ولم يجد الإمام بدّاً من مناجزة معاوية ، فخرج إليه بجيشه الذي يضمّ أصحاب النبيّ ﷺ وخيار المسلمين الذين كانوا على بيّنة من أمرهم ، فهم يجاهدون من عادى الله ورسوله ، وحارب وصيّ رسول الله وباب مدينة علمه .

وسار جيش الإمام يطوي البيداء حتّى انتهى إلى صفّين ، فوجدوا حوض الفرات قد احتلّته قوّات معاوية ، وهم يمانعونهم أشدّ الممانعة من الوصول إليه ليموتوا عطشاً ، وتكلّم فريق من أصحاب الإمام مع أصحاب معاوية فلم يستجيبوا لهم ، فحملوا عليهم وكشفوهم عنه ، وصار تحت قبضتهم ، وانبرى بعض أصحاب الإمام طالبين منه أن يمنعونهم من الماء كما منعوهم منه ، فأبى الإمام ولم يقابلهم بالمثل ، وكانت سجيّته العفو والإحسان لمن أساء واعتدى عليه .

وأوفد الإمام رسل السلام إلى معاوية يدعونه إلى جمع كلمة المسلمين وعدم سفك الدماء ، فلم يستجب لهم ، وأصرّ على الحرب ومقاومة الإمام .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤ : ١٦٤ .

وفتحت أبواب الحرب بين الفريقين إلّا أنّها لم تكن عامّة ، وإنّما كانت في كثير من الأحيان مبارزة ، وقد سئم الجيشان هذه الحرب التي استمرّت زهاء سنتين ، إلّا أنّها استؤنفت على أشدّها ، وقد بان الانكسار في جيش معاوية ، وتفلّلت جميع قواعده وفرقه وهمّ معاوية بالفرار ، إلّا أنّه تذكّر قول ابن الاطنابة في شعره ، فصدّه ذلك عن الهزيمة وردّه إلى الثبات حسب ما يقول المؤرّخون .

مكيدة رفع المصاحف

لعلّ من أبشع ما شاهده التاريخ من المهازل رفع المصاحف بصفّين بعدما أشرف الجيش العراقي على الفتح ، وبان الانكسار في جيش معاوية ، فإنّه حينما رفعت المصاحف مني جيش الإمام بانقلاب مدمّر .

أعضاء المؤامرة

ولم يأت الانقلاب في جيش الإمام عفواً ، وإنّما كان وليد مؤامرات اشترك فيها الشاميّون والعراقيّون ، أمّا الأعضاء البارزون فيها ، فهم :

١ ـ عمرو بن العاص .

٢ ـ الأشعث بن قيس .

٣ ـ أبو موسى الأشعري .

واستجاب لهذه المكيدة القرّاء الذين كان يغذّيهم أبو موسى الأشعري ببغض الإمام وعدم شرعيّة حكومته ، وكان عثماني الهوى ، وله ميل شديد لعبدالله بن عمر .

وعلى أي حال ، فقد أحاط القرّاء بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام مطالبين بحماس وشدّة إيقاف عمليّة الحرب ، فلم يستجب لهم الإمام ، وعرّفهم أنّ رفع المصاحف مكيدة ، وأنّ معاوية وابن العاص وابن شعبة والأشعري لا يؤمنون بالقرآن ،

ولا يفقهون أحكامه ، وانّهم خصومه وأعداؤه ، فلم يذعنوا له ، وأصرّوا على غيّهم وتمرّدهم ، وهدّدوا الإمام بالقتل .

لقد مني جيش الإمام بالانقلاب المدمّر ، فمنذ تلك اللحظة طويت حكومة الإمام ، وانتصرت الوثنيّة القرشيّة التي يؤمن بها معاوية ، وانتهت القيم الإسلاميّة بجميع مقوّماتها ومكوّناتها ، وقد تغلّب معاوية بمكره وخداعه بغير حرب على الإمام كما أعلن ذلك أمام قادة جيشه .

وعلى أي حال ، فلم يجد الإمام بدّاً من إجابة هؤلاء الأرجاس ، وقد ملئت نفسه الشريفة أسىً وحزناً ، فأوقف عمليّات الحرب ، وأمر قائد قوّاته الزعيم مالك الأشتر بالانسحاب عن الساحة بعد ما أشرف على الفتح .

إصرار المتمرّدين على انتخاب الأشعري

وأصرّ القرّاء الذين كان يعلّمهم الأشعري على انتخابه ممثّلاً عن العراق في التحكيم ، ورشّح الإمام عليه السلام عبدالله بن عبّاس أو الزعيم مالك الأشتر ممثّلاً عنهم ، فأبوا وأصرّوا على غيّهم وضلالهم أن يكون الممثّل الأشعري الذي هو أعدى الناس للإمام ، فاستجاب الإمام وتركهم في ظلمات الجهل والغي يعمهون لأنّه لم تكن عنده قوّة تحميه ، ولم يكن له ركن شديد يأوي إليه .

وعلى أي حال ، فقد تسابق المتمرّدون في جيش الإمام بزعامة الأشعث بن قيس مع ابن العاص فسجّلوا وثيقة التحكيم التي تنصّ على إيقاف عمليّات الحرب والرجوع إلى كتاب الله تعالى ، وأن يكون الممثّل للعراقيّين الأشعري ، والممثّل لأهل الشام ابن العاص ، وعيّنوا وقتاً لاجتماع الحَكمين ، كما عيّنوا المكان الذي يجتمعان فيه وهو دومة الجندل(١) .

(١) يراجع في تفصيل هذه الأحداث الجزء الأوّل من حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام .

حفصة مع أخيها عبدالله

انتهت أنباء التحكيم إلى حفصة وأخيها عبدالله ، وأنّ الممثّل للعراقيّين في التحكيم هو الأشعري الذي عُرف بميوله لعبدالله ، وبغضه للإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وسارع عبدالله لأُخته يطلب رأيها قائلاً : قد كان من أمر الناس ماترين ، ولم يجعل لي من الأمر شيئاً .

وأشارت عليه بالاسراع إلى موضع التحكيم قائلة له : إلحق فإنّهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة .

وما زالت تحبّذ له السفر حتّى استجاب لها ، فغادر مكّة[١] حتّى التحق بالأشعري الذي كان ينتظره .

التحكيم

استردّ معاوية قواه العسكريّة بعد انهيارها ، فأوفد إلى الإمام رسله يستنجزه الوفاء بالتحكيم ، وإنّما بادر لذلك لعلمه بما مني به جيش الإمام من التفلّل في جميع فرقه وقواعده ، مضافاً إلى علمه بانحراف الأشعري عن الإمام .

وعلى أي حال ، فقد أجابه الإمام فأرسل أربعمائة رجل فيهم عبدالله بن عبّاس يصلّي بهم ، ومن بينهم الأشعري ، وكذلك فعل معاوية فأشخص ابن العاص ومعه أربعمائة شخص وقد زوّده بدراسة عن الأشعري قائلاً له : إنّك رميت برجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، فلا ترمه بعقلك كلّه[٢] .

---

(١) صحيح البخاري : ٥ : ٤٨ . سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٢ .

(٢) العقد الفريد : ٣ : ١١٥ .

الأشعريّ وابن العاص

عرض الأشعريّ قبل التحكيم أن يرشّح ابن عمر للخلافة ، لأنّ في ذلك إحياء لعمر ، فقال له ابن العاص : فإن كنت تريد بيعة ابن عمر ، فما يمنعك من ابني عبدالله ، وأنت تعرف فضله وصلاحه ؟

فقال الأشعري : إنّ ابنك لرجل صدق لكنّك غمسته في الفتنة ، ولكن إن شئت ولينا الطيّب ابن الطيّب عبدالله بن عمر .

وردّ ابن العاص مقالته قائلاً : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا لرجل له ضرس يأكل ويطعم(١) .

قرار الحَكمين

واجتمعت الجماهير في دير هند لتأخذ النتيجة الحاسمة من قرار التحكيم ، وانطلق ابن العاص والأشعري إلى منصّة الخطابة ليعلنا ما اتّفقا عليه ، فالتفت ابن العاص إلى الأشعري قائلاً : قم فاخطب الناس يا أبا موسى .

فخشي منه الأشعريّ فقال له : قم أنت فاخطبهم .

وراح ابن العاص يضفي عليه الألقاب قائلاً : سبحان الله ! أنا أتقدّمك وأنت شيخ أصحاب رسول الله ، والله لا فعلت ذلك .

ومتى كان هذا الصعلوك شيخ أصحاب رسول الله ؟ وقد شكّ الأشعريّ فيه فقال له : أفي نفسك شيء ؟

فزاده إيماناً وتوكيداً على الالتزام بالعهد الذي أعطاه(٢) .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ١٠٥ .

(٢) العقد الفريد : ٥ : ٨٩ .

وهو نصب ابن عمر خليفة على المسلمين ، والتفت ابن عبّاس إلى الأشعريّ قائلاً له : ويحك ! والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن كنتما اتّفقتما على أمر ، فقدّمه فليتكلّم بذلك ، ثمّ تتكلّم أنت بعده ، فإنّ عمرو رجل غادر ، ولا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك »(١) .

فلم يلتفت هذا الرجس إلى كلام ابن عبّاس ، وظنّ بابن العاص الوفاء بما اتّفقا عليه .

قرار الأشعريّ

وراح الأشعري يشتدّ نحو منصّة الخطابة ، فأعلن القرار الحاسم قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيّها الناس ، إنّا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمر والصلاح ، ولمّ الشعثِ ، وحقنِ الدماءِ ، وجمعِ الأُلفة ... خَلْعُنا عليّاً ومعاوية ! فقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه ، ـ وأهوى إلى عمامته فخلعها ـ واستخلفنا رجلاً صَحِبَ رسول الله بنفسه ، وصحب أبوه النبيّ فبرز في سابقته وهو عبدالله بن عمر »(٢) .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٦ : ٣٩ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٦ : ٣٩ .

وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد : ١٣ : ٣١٥ : روى سويد بن غفلة قال : « كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبراً عن رسول الله ﷺ قال : سمعته يقول : **إنَّ بَني إِسْرائِيلَ اخْتَلَفوا فَلَمْ يَزَلِ الإِخْتِلافُ بَيْنَهُمْ حَتّىٰ بَعَثوا حَكَمَيْنِ ضالَّيْنِ ، ضَلّا وَأَضَلّا مَنِ اتَّبَعَهُما ، وَلَا تَنْفَكُّ أُمَّتي حَتّىٰ يَبْعَثوا حَكَمَيْنِ يَضِلّانِ وَيُضِلّانِ مَنِ اتَّبَعَهُما** .

فقلت له : احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما .

قال : فخلع قميصه وقال : ابرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا » .

ثمّ أخذ يثني على ابن عمر ، وينعته بالأوصاف الشريفة .

أُفّ للزمان ، وتعساً لذلك المجتمع الذي يقرّر مصيره هذا الصعلوك النذل ، يعزل الإمام أمير المؤمنين رائد الحكمة ومفخرة الإسلام ، الذي لا يضارعه أحد من الصحابة وغيرهم في مواهبه وعبقريّاته ، ولا شكّ أنّ الذي أوصل الأُمّة إلى هذا القرار السحيق هو مَن قال : « أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد ، وهو أبو الذي رشّحه الأشعريّ ، فكانت هذه النتائج المخزية ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

قرار ابن العاص

وانبرى ابن العاص الغادر الماكر إلى منصّة الخطابة ، وفتح خطابه بعد حمد الله تعالى والصلاة على النبيّ قائلاً :

« أيّها الناس ، إنّ أبا موسى عبدالله بن قيس خلع عليّاً ، وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإنّي خلعتُ عليّاً معه ، وأثبتُّ معاوية عليَّ وعليكم ، وإنّ أبا موسى قد كتب في الصحيفة أنّ عثمان قتل مظلوماً شهيداً ، وأنّ لوليّه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله ، وصحب أبوه النبيّ » .

ثمّ أخذ يفيض النعوت الكاذبة على الذئب الجاهلي معاوية ، وبعد هذا قال :

« إنّ معاوية هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان »[١] .

وانطلق الحمار الأشعريّ نحو ابن العاص قائلاً : « ما لك ؟ عليك لعنة الله ، ما أنت إلّا كمثل الكلب ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ »[٢] .

فزجره ابن العاص بعد أن جعله جسراً يعبر عليه قائلاً له : لكنّك مثل الحمار

---

(١) أنساب الأشراف : ٣٥١. الإمامة والسياسة : ١ : ١٤٣ .

(٢) الأعراف ٧ : ١٧٦ .

يحمل أسفاراً[١].

نعم، هما كلب وحمار، وعليهما لعنة الله وعلى مَن جعلهما حكمَين على المسلمين.

ثمّ هرب الأشعريّ إلى مكّة يصحب معه العار والخزي بعد ما أحدث هذه الفتنة العمياء بين المسلمين، وقد سجّل للذين انتخبوه الذلّ والهوان، وقد سجّل الشعراء لهم الهجاء المقذع.

قال أيمن بن خريم الأسدي:

لَوْ كانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يُعْصَمُونَ بِهِ ... مِنَ الضَّلَالِ رَمَوكُمْ بِابنِ عَبّاسِ
للهِ دَرُّ أَبِيهِ أَيُّمَا رَجُلٍ ... ما مِثْلُهُ لِفِصالِ الخَطبِ في الناسِ
لكِنْ رَمَوكُمْ بِشَيخٍ مِنْ ذَوي يَمَنٍ ... لَمْ يَدْرِ ما ضَرْبُ أَخْماسٍ لأَسْداسِ
إنْ يَخْلُ عَمْرٌو بِهِ يَقْذِفْهُ في لُجَجٍ ... يَهْوِي بِهِ النَّجْمُ تَيْساً بَيْنَ أَتْيَاسِ
أَبْلِغْ لَدَيكَ عَلِيّاً غَيرَ عاتِبِهِ ... قَولَ امْرِىءٍ لا يَرىٰ بِالحَقِّ مِنْ باسِ
ما الأَشعَرِيُّ بِمَأْمونٍ أَبا حَسَنٍ ... فَاعلَمْ هُدِيتَ وَلَيسَ العَجْزُ كَالرّاسِ
فاصْدِمْ بِصاحِبِكَ الأَدْنىٰ زَعيمَهُمُ ... إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ عَبّاسٍ هُوَ الآسي[٢]

لقد كان انتخاب الأشعريّ صفحة سوداء في تاريخ المنتخِبين له، فإنّ هذا الرجس من أراذل المجتمع، ومن المنافقين والضالّين والمنحرفين عن الحقّ.

إنّ من مهازل الزمن أن يتحكّم الأشعريّ وابن العاص في أُمور المسلمين، ويقارن

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة ٦٢: ٥.

(٢) وقعة صفّين: ٥٠٢.

بين الإمام أمير المؤمنين وصيّ رسول الله وباب مدينة علمه بمعاوية الطليق الباغي على الإسلام هو وأبوه وسائر أُسرته التي لم تنجب شريفاً ولا مؤمناً إلّا ما ندر.

غضب معاوية على ابن عمر

انتفخ سحر معاوية وملئت نفسه غيظاً على عبدالله بن عمر الذي رشّحه الأشعري لقيادة الأُمّة، وراح يندّد به، ويذكر تفوّقه عليه وعلى أبيه قائلاً: «مَن كان يريد أن يتكلّم في هذا الأمر - يعني الخلافة - فليُطلع إليّ قرنه، فنحن أحقّ بذلك منه ومن أبيه - يعني عمر -».

وأراد ابن عمر أن يقول له: أحقّ منك من ضربك عليه وأباك إلّا أنّه خاف من الفتنة فلم يقل ذلك(١).

وقد تنكّر معاوية لعمر، فجعل نفسه أوْلى بالخلافة، وأحقّ بها منه، وهو الذي قلّده أهمّ منصب في الدولة الإسلاميّة، وزاد في رقعة سلطانه، وميّزه على بقيّة عمّاله وولاته، تتواتر إليه الأنباء بشربه للخمر، وأكله في أواني الذهب والفضّة، وفتواه بحلّيّة الربا، وغير ذلك من موبقاته وآثامه، فيسدّده ويعتذر عنه، وقال: «إنّه كسرى العرب»، وقال: «إنّه فتى قريش»، إلى غير ذلك من ألوان التسديد، فكان هذا جزاؤه منه، وكان إنكار المعروف ومقابلة المحسن بالإساءة من طباع الأمويّين، ومن ذاتيّاتهم التي عرفوا بها.

معاوية والأشعريّ

من المؤكّد أنّ الظافر من خلع الأشعري للإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو معاوية، فإنّه لم تكن له أيّة مكانة في الدولة الإسلاميّة، فإنّه ليس بخليفة ولا والياً أو أميراً على

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣١: ١٨٣. سير أعلام النبلاء: ٣: ٢٢٦.

شيء ، لأنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام قد عزله عن ولاية الشام ، فلا موضع لعزله كما يقول السيّد باسم الحلّي [١].

وعلى أي حال ، فقد شكر معاوية أبا موسى لخلعه الإمام عليه‌السلام ، وقد كانت له منزلة متميّزة عنده ، فقد أغدق عليه الأموال ، وكانت لابنه أبي بردة مكانة عند معاوية ، فما أغلق دونه باباً ، ولا كانت له حاجة إلّا قضاها [٢] ، وقد أوصى به ولده يزيد ، فقال له : إن وليت فاستوص بهذا ، فإنّ أباه كان أخاً لي أو خليلاً [٣].

وعلى أي حال ، فقد مني الإسلام بنكسة بهؤلاء المنافقين الذين أخلدوا للمسلمين الفتن والأزمات وألقوهم في شرّ عظيم .

تفلّل جيش الإمام عليه‌السلام

وقعت الفتنة الكبرى في جيش الإمام بعد التحكيم ، فقد مني بانقلاب مدمّر ، وشاعت فيه الأهواء والأطماع ، وقد ظهرت على المسرح السياسي فكرة الخوارج ، التي أباحت القتل والتخريب والدمار ، وفيما أحسب أنّ اُصولها وقواعدها قد حيكت قبل التحكيم .

وعلى أي حال ، فإنّ جيش الإمام عليه‌السلام قد اُصيب بالانحلال والتمرّد ، ولم يعد للإمام جيش يعتمد عليه في حفظ الأمن وسيادة الدولة .

تمرّد الخوارج

ولم تلبث فكرة الخوارج أن صارت حزباً سياسيّاً طابعه الارهاب ، وإشاعة الفتنة ،

---

(١) عبدالله بن عمر : ٦٢.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٣ : ٣٩٧. الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤ : ١١١.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤ : ١١٢.

وسفك الدماء ، ونشر الفساد في الأرض .

وانحاز الخوارج عن جيش الإمام ، ورحلوا إلى النهروان ، فعسكروا فيه ، واجتاز عليهم الصحابي الجليل عبدالله بن خباب بن الأرت فأحاطوا به قائلين : مَن أنت ؟

- رجل مؤمن .

- ما تقول في عليّ بن أبي طالب ؟

- إنّه أمير المؤمنين ، وأوّل المسلمين إيماناً بالله ورسوله .

- ما اسمك ؟

- عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله .

- أفزعناك ؟

- نعم .

- لا روع عليك .

وأضافوا قائلين : حدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله ﷺ لعلّ الله تعالى ينفعنا به .

- نعم ، حدّثني عن رسول الله ﷺ أنّه قال : **سَتَكونُ فِتْنَةٌ يَموتُ فيها قَلْبُ الرَّجلِ كَما يَموتُ بَدَنُهُ ، يُمْسي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كافِراً** .

لهذا الحديث سألناك ، والله لنقتلنّك قتلة ما قُتل أحد مثلها .

وعمد هؤلاء الارهابيّون فأوثقوه كتافاً ، وأقبلوا به وبامرأته ـ وكانت حبلى قد أشرفت على الولادة ـ فجاءوا بهما تحت نخلة وقد سقطت رطبة منها ، فبادر بعضهم ووضعها في فمه ، فأقبل عليه بعضهم فقال له بعنف : أكلتها بغير حلّ ، فألقاها من فمه ، واخترط بعضهم سيفه فضرب به وجه خنزير لأهل الذمّة ، فأنكر عليه شخص منهم قائلاً : إنّ هذا من الفساد في الأرض .

وبادر رجل منهم إلى صاحب الخنزير فأرضاه ، ولمّا رأى عبدالله بن خباب هذا الاحتياط منهم ، قال لهم : لئن كنتم صادقين فيما أرى ، ما أرى علَيَّ من بأس منكم ، والله ما أحدثت حدثاً في الإسلام ، وإنّي لمؤمن وقد آمنتموني وقلتم : لا روع عليك .

ولم يلتفت هؤلاء الارهابيّون الوحوش لمقالته وعمدوا إليه وإلى أهله فأضطجعوه على شفير النهر ووضعوه على الخنزير الذي قتلوه ثمّ ذبحوه ، وأقبلوا إلى امرأته وهي ترتعد من الخوف ، فقالت لهم مسترحمة : إنّما أنا امرأة ، أما تتّقون الله تعالى ؟!

فلم يحفلوا بذلك ، فقتلوها وبقروا بطنها ، وانعطفوا على ثلاث نسوة فيهنّ أُمّ سنان الصيداويّة ، وكانت قد صحبت النبيّ ﷺ فقتلوهنّ .

ولم يقف شرّ هؤلاء الأرجاس على هذه الجريمة النكراء ، وإنّما أخذوا يستعرضون الناس ويشيعون فيهم القتل والخوف[١] .

وفتح الإمام مع هؤلاء الأرجاس باب الحوار ، وكلّمهم ببالغ الحجّة وواضح البرهان ، إلّا أنّهم لم يعوا كلامه ، فقد كانت تلك الأدمغة متحجّرة قد عشعش فيها الباطل ، ولا تزال لها بقيّة في المجتمع حتّى يوم الناس هذا .

وعلى أي حال ، فقد اضطرّ الإمام عليه السلام إلى مناجزتهم لأنّهم أخذوا يعيثون في الأرض فساداً ، وقد فتح معهم باب الحرب وقضى على معظمهم ، وبقيت منهم عصابة أخذت تنشر أفكارهم ، وتدعو إلى التمرّد والعصيان على حكومة الإمام ، وتسلّلت إلى معسكر الإمام عليه السلام وتفسد فيه حتّى خلد إلى التخاذل وعدم الطاعة ، وأصبح الإمام بمعزل تامّ عن جيشه يأمره فلا يطيع ، ويدعوه فلا يستجيب .

احتلال وارهاب

وقوي أمر معاوية واستحكم سلطانه بعد التحكيم ، فقد انهار جيش الإمام انهياراً

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٤١ و ٣٤٢. حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ١ : ٣٣٢ ـ ٣٣٦.

كاملاً ، ولم تعد له أيّة قدرة على مقاومة الأحداث ، فقد أخذت قوّات معاوية تحتلّ أهمّ المناطق الخاضعة لحكم الإمام عليه‌السلام كمصر واليمن وغيرهما .

كما أخذت بعض الفِرق من جيش معاوية تشنّ هجوماً على بعض المدن ، فتقتل مَن كان موالياً فيها للإمام ، وتنهب الأموال ، وتشيع الخوف والارهاب ، وذلك لافهام المواطنين بعدم قدرة الإمام على حمايتهم ، وكان الإمام يستنجد بجيشه المتمرّد لبسط الأمن وحماية الناس من الغزو الأموي ، فلم يستجيبوا له حتّى وصلت غارات معاوية إلى الكوفة التي هي عاصمة الإمام ، وقد تخاذل جيشه حتّى بات من المقطوع قدرة معاوية على احتلال الكوفة وإسقاط حكومة الإمام عليه‌السلام .

مصرع الحقّ

بقي الإمام الممتحن في أرباض الكوفة قد أحاطت به الآلام ، وطوّقته الهموم يرى باطل معاوية قد استحكم والوثنيّة القرشيّة قد عادت ، وليس عنده أيّة قوّة يستطيع بها أن يعيد للإسلام نضارته ، ويردّ عنه كيد المعتدين ، فقد قوي الباطل وأفل نجم الحقّ ، وأخذ الإمام عليه‌السلام يدعو الله تعالى بحرارة وإخلاص أن ينقله إلى جواره وينقذه من ذلك المجتمع الذي غرق في الأباطيل قائلاً : « **اللّهُمَّ إنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي ، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي** »[(١)] .

واستجاب الله تعالى دعاء وليّه العظيم ، فقد قام باغتياله وغد أثيم من أرجاس الخوارج ، وهو عبدالرحمن بن ملجم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وكان الإمام عليه‌السلام في بيت الله تعالى وفي شهر رمضان المبارك ، وكان ماثلاً أمام الله تعالى ولسانه يلهج بذكر الله فعلا الباغي بالسيف رأسه الشريف الذي ما فكّر إلّا بإقامة الحقّ وتدمير الباطل ، ولمّا أحسّ الإمام يلذع السيف رفع صوته قائلاً : « **فُزْتُ**

---

(١) البداية والنهاية : ٨ : ١٣ . نهج البلاغة : ١ : ٦٥ ، الخطبة ٢٥ .

وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ».

أنت يا أمير الحقّ أوّل الفائزين برضاء الله تعالى.

أنت يا سيّد الأوصياء أوّل من آمن بالله تعالى وصدّق رسوله.

أنت يا رائد العدالة أوّل حاكم في هذا الشرق قد أقمت الحقّ ونشرت العدل.

أنت يا سيّد المتّقين قد طلّقت الدنيا ثلاثاً، وواسيت الفقراء في طعامك ولباسك.

أنت أمل المحرومين، وصديق البائسين، وأبو الغرباء والمستضعفين.

أنت الذي خلقت في غير زمانك، ولم يعرف معاصروك قيمتك.

وبعد مضيّ ثلاثة أيّام من اغتيال الإمام سمت روحه العظيمة إلى الله تعالى تحفّها ملائكة الرحمن وأنبياء الله وفي مقدّمتهم الرسول الكريم.

وقام الإمام الزكيّ سبط رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ عليهما السلام ومعه السادة من اخوانه فجهّزوا الجثمان العظيم، وحملوه في غلس الليل البهيم، وواروه في مثواه الأخير النجف الأشرف، وقد واروا معه القيم الإسلاميّة، وأصبح مرقده الشريف من أعزّ مراقد الإسلام تحفّه الملايين من البشر، وأصبحت النجف الأشرف أسمى جامعة في الإسلام بما تضمّ من كبار العلماء.

وعلى أي حال، إنّ ما جرى على الإمام عليه السلام من الأزمات والمحن والخطوب كان ناجماً عن أحداث السقيفة والشورى التي كان المدبّر لهما عمر بن الخطّاب، وقد تأثّر ولده عبدالله بسلوك أبيه، واقتدى به، فلم يبايع الإمام ولم يصلِّ خلفه ولكنّه بايع عبدالملك بن مروان وصلّى خلف الحجّاج.

خلافة الإمام الحسن عليه السلام

تسلّم الإمام الحسن عليه السلام قيادة الأُمّة بعد شهادة أبيه في جوّ مضطرب مليء

بالأحداث الجسام ، فقد بايعه أخلاط من الناس ـ على حدّ تعبير الشيخ المفيد ـ وتثاقل قادة الفرق في جيشه عن بيعته ، لأنّ هواهم مع معاوية ، فكانوا يتسلّمون رشاواه وعطاياه ، فانصاعوا لأمره وطاعته ، ولم تكن عند الإمام أيّة قوّة عسكريّة تتمتّع بالإخلاص والطاعة له .

ولم يمض كثير من الوقت حتّى زحف معاوية بجيوشه لاحتلال العراق ، وقد عسكر في مسكن ، ولمّا علم الإمام الحسن عليه‌السلام بذلك ندب جيشه لمقاومته ، فتثاقلوا عن إجابته ، وبعد جهد شاقّ استجابوا له على كره كأنّما يساقون إلى الموت ، فزحف بهم إلى مناجزة معاوية ، وقد ضمّ جيش الإمام العناصر التالية :

١ ـ الخوارج .

٢ ـ الشكّاكون .

٣ ـ ذوو الأطماع .

وهؤلاء قد تطعّموا بالخيانة والغدر ، وعدم الإخلاص في حربهم لمعاوية .

خيانة عبيدالله بن العبّاس

أسند الإمام الحسن عليه‌السلام قيادة مقدّمة جيشه إلى عبيدالله بن العبّاس ، وذلك لقربه منه ، مضافاً إلى أنّ معاوية قد وتره بابنيه اللذين هما كالدرّتين ليكون ذلك داعية إلى إخلاصه ، إلّا أنّ معاوية قد مدّ إليه أسلاك مكره فجذبه إليه ، فأرشاه بخمسمائة ألف درهم أو بمليون درهم فسال لعابه والتحق به ومعه ثمانية آلاف جندي غير حافل بالعار والخزي ، فأسند الإمام قيادة جيشه إلى قادة آخرين ، فخانوا وانضمّوا إلى معاوية بعد أن تسلّموا الرشوة .

خيانة قادة الفِرق

من الأحداث الجسام التي امتحن بها الإمام الحسن عليه‌السلام أنّ معظم قادة الفرق في

جيشه قد خانوا الله ورسوله فكتبوا إلى معاوية بتسليم الإمام الحسن عليه السلام أسيراً له أو اغتياله متى رغب وشاء[١].

وقد علم الإمام بذلك فملئت نفسه الشريفة أسى وحزناً واستبان له أنّه ليس عنده أيّة قوّة عسكريّة يناجز بها معاوية.

الاعتداء على الإمام عليه السلام

ولم تقف محنة الإمام الزكيّ على خيانة جيشه فقد اعتدى عليه أنذالهم وأرجاسهم بما يلي.

١ ـ طعنه رجس في فخذه بمعول[٢]، فهوى الإمام جريحاً وحمل إلى المدائن لمعالجته.

٢ ـ طعنه شخص بخنجر في أثناء الصلاة[٣].

٣ ـ رماه شخص بسهم في أثناء الصلاة، فلم يؤثّر فيه.

الحكم عليه بالكفر

وكان من مآسي الإمام أنّ الجرّاح بن سنان أقبل كالكلب نحو الإمام ورفع عقيرته قائلاً: «أشركت يا حسن كما أشرك أبوك»[٤].

وتوالت الأحداث على الإمام يتبع بعضها بعضاً، واستبان له غدر الكوفيّين وخيانتهم، وأنّهم لا يملكون أي رصيد من الإخلاص لوطنهم وأُمّتهم، وإنّما يلهثون

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ١٥٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٧٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٣: ٢٦٨. تاريخ الإسلام: ٤: ٦.

(٤) كشف الغمّة: ٢: ١٦٣. بحار الأنوار: ٤٤: ٤٧.

وراء أطماعهم ومنافعهم.

ضرورة الصلح

تعيّن صلح الإمام مع معاوية، وكان ذلك واجباً عليه شرعيّاً وسياسيّاً، فإنّه من المؤكّد أنّه إذا خاض الحرب مع معاوية فإنّه لا بدّ أن ينتصر معاوية لأنّ الإمام لم تكن عنده أيّة قوّة عسكريّة، فهو إمّا أن يقع أسيراً عند معاوية، ويمثل أمامه ذليلاً فيملي عليه من الشروط ما أراد، وتنتهك بذلك حرمته وحرمة الإسلام، أو أنّه يفتح باب الحرب معه فيقتل هو وأهل بيته والنخبة الصالحة من أصحابه الذين يمثّلون الخطّ الإسلامي، ومعاوية بحسب مكره وكذبه وخداعه يلقي اللائمة في قتل الإمام عليه ويبرّئ نفسه من المسؤوليّة، فكان الواجب على الإمام الصلح حفظاً لكرامته وحفظاً لكرامة الإسلام والمسلمين.

أمّا كيفيّة الصلح وشروطه فقد جرّدت معاوية من الإسلام وكشفت زيفه، وأبرزت واقعه الجاهلي وقد تحدّثنا عنها بالتفصيل في كتابنا حياة الإمام الحسن عليه السلام.

وعلى أي حال، فإنّ هذه الأزمات المروّعة التي منيت بها الأُمّة كانت ناجمة من مؤتمر السقيفة والشورى فهما اللذان جرّا للأُمّة الفتن والخطوب، وكان المخطّط لهما الحزب القرشي الذي أبى أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد فصرفت الخلافة إلى الطلقاء وأبنائهم، وقوبلت الأُسرة النبويّة بالاضطهاد والقتل والتنكيل.

ومهما يكن الأمر، فإن عبدالله بن عمر لم يكن له أي دور يذكر في خلافة الإمام الحسن عليه السلام، وكان رأيه ـ من دون شكّ ـ مع الأمويّين الذين كانوا يغدقون عليه هباتهم.

حكومة معاوية

وقعت الأُمّة فريسة ـ بعد الصلح ـ في أنياب الحكم الأموي الذي جهد على إرغامها على الذلّ والعبوديّة ، وسلب مقوّماتها الفكريّة والحضاريّة .

ولم يمض قليل من الوقت على تسلّم معاوية للسلطة حتّى أعلن تمرّده على جميع القيم الاجتماعيّة ، وذلك في جمع حاشد ضمّ العراقيّين والشاميّين ألقى فيهم خطابه بعد الصلح مباشرة فقد قال : « إنّي ما قاتلتكم ـ يعني العراقيّين ـ لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا وإنّكم لتفعلون ذلك » .

ثمّ أعقب ذلك بقوله : « ألا إنّ كلّ شرط أعطيته للحسن بن عليّ تحت قَدَميَّ هاتين ـ وأشار إليهما ـ لا أفي بشيء منه »[١] .

أرأيتم هذه الجاهليّة السوداء التي لم تؤمن بالقيم والأعراف الاجتماعيّة ؟

أرأيتم هذا الاستهتار بحقوق الناس ؟

ولو لم يكن لصلح الإمام الحسن عليه‌السلام من فائدة إلّا إبراز هذا العلج الجاهلي على حقيقته أمام المجتمع ، وتعريته من كلّ صفة كريمة لكفى .

السياسة السوداء

تفجّرت سياسة معاوية بالظلم والارهاب ، وإظهار الوثنيّة القرشيّة بكلّ معالمها وخطوطها ، وليس في جميع فصولها إلّا الخزي عليه وعلى أُسرته التي شذّت في سلوكها عن القيم الإسلاميّة والإنسانيّة .

وعلى أي حال ، فإنّ الذي يقف على سيرة معاوية وسياسته يظهر له بوضوح أنّه

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٣٥٤ . الأخبار الموفّقيّات : ٥٧٧ . شرح نهج البلاغة : ٥ : ١٢٩ .

العدوّ الماكر للإسلام ، وأنّه على جاهليّته من دون أن يغيّر الإسلام أي جانب من جوانب حياته ، وقد بايعه ابن عمر وأقرّ بشرعيّة حكمه ، وصلّى خلف من عيّنه والياً ، وأدّى إليه زكاة ماله ، وكانت صلات معاوية لا تنقطع عنه .

وعلى أي حال ، فإنّا نذكر عرضاً لبعض المناهج في سياسة معاوية ، والتي منها :

العداء الصارم للنبيّ صلى الله عليه وآله

أُترعت نفس معاوية بالبغض العارم والعداء الشديد للنبيّ صلى الله عليه وآله وقد ورث ذلك من أبيه أبي سفيان العدوّ الأوّل للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وورث ذلك من أُمّه هند التي لاكت كبد حمزة .... وهذه بعض البوادر من عدائه للنبيّ صلى الله عليه وآله :

١ ـ روى المطرف أنّ أباه المغيرة بن شعبة طلب منه الرفق بالسادة العلويّين ، فنهره معاوية وقال له : « إنّ أخا هاشم ـ يعني النبيّ صلى الله عليه وآله ـ يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات ـ يعني في الأذان ـ أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، وأي عمل يبقى مع هذا ؟ لا أُمّ لك ، لا والله إلّا دفناً دفناً »(١) .

وقد حكى ذلك عن كفره وحقده على النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه جاد في محاربته وطوي رسالته .

٢ ـ سمع معاوية المؤذّن يقول في أذانه : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، فاندفع بغيظ قائلاً : لله أبوك يابن عبدالله ، لقد كنت عالي الهمّة ، ما رضيت لنفسك حتّى تقرن اسمك باسم ربّ العالمين(٢) .

ونهج الأمويّون منهج معاوية في عدائهم السافر للنبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد روى الشهيد الخالد زيد بن عليّ أنّ هشام بن عبدالملك كان النبيّ صلى الله عليه وآله يسبّ في مجلسه ،

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣٤١ . شرح نهج البلاغة : ١ : ١١١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٠ : ١٠١ .

فلا ينكر ذلك[١].

إنّ عِداء الأمويّين للنبيّ ﷺ أمر مكشوف وهو يحكي عن تغلغل الوثنيّة في أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم.

سبّه للعترة النبويّة

أولع الرجس معاوية بسبّ العترة النبويّة الطاهرة، وقد استهدف سيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد جعل سبّه فرضاً إسلاميّاً، وقد خطب أمام الغوغاء من أهل الشام، فقال: «أيّها الناس، إنّ رسول الله ﷺ، قال لي: إنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدّسة ـ يعني الشام ـ فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب».

فعجّ أُولئك الوحوش بسبّ وصيّ رسول الله، وباب مدينة علمه، وكان الطاغية الفاجر يختم خطابه بقوله: «اللّهمّ إنّ أبا تراب أُلحد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً»[٢].

إنّ اللعنات التي صبّها معاوية على عملاق هذه الأُمّة ورائد حضارتها قد عادت عليه وعلى الأمويّين.

يقول السماوي:

وَهـٰذا عَـلِيٌّ وَالأَهـازيجُ بِـاسْمِهِ ... تَشُقُّ الْفَضا النّائي فَهاتوا مُـعاوِيا
أَعيدوا ابْنَ هِنْدٍ إِنْ وَجَدْتُمْ رُفاتَهُ ... رُفـاتاً وَإِلّا فَـانْشُروها مَـخازِيا

وقد اقتدى الأنذال من ملوك الأمويّين بمعاوية في سبّ الإمام وجعلوه جزءاً من العقيدة الدينيّة، وما آمنوا بالله ولكن بأوثانهم، وعلى أي حال، لقد انطوت الأحقاب

---

(١) و (٢) شرح نهج البلاغة: ٤: ٧٢.

السود التي لعن فيها عملاق الإسلام ورائد حضارته وقيمه ، فقد اندكّت معالم الأمويّين ، وهزموا شرّ هزيمة ، وبقي الإمام على شاشة التاريخ كأفضل مصلح عرفته الإنسانيّة في جميع مراحل تاريخها .

التنكيل بشيعة أهل البيت عليهم‌السلام

من موبقات معاوية التنكيل القاسي بشيعة أهل البيت عليهم‌السلام الذين يمثّلون الإسلام بجميع مقوّماته ومكوّناته ويلتزمون بحرفيّة ما جاء به النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فقد عمد الطاغية إلى اجتثاث رموزهم كالصحابي الجليل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وصيفي بن فسيل ، وأمثالهم ، وقد حكى الإمام أبو جعفر الباقر عليه‌السلام ما عانته شيعتهم من ألوان الظلم والاضطهاد بقوله : « **وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالْإِنْقِطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ ، أَوْ نُهِبَ مالُهُ ، أَوْ هُدِمَتْ دارُهُ** »(١) .

وقد عهد الطاغية الفاجر إلى الجلّادين والارهابيّين من ولاته بتتبّع الشيعة وقتلهم ، وقتل المجرم بسر بن أبي أرطاة بعد التحكيم ثلاثين ألفاً عدا من أحرقهم بالنار(٢) ، أمّا زياد بن أبيه الرومي فقد اقترف أفظع الجرائم بشيعة أهل البيت ، وأنزل بهم من صنوف الجور ما لا يوصف لقسوته ومرارته(٣) .

كما كتب معاوية مرسوماً لجميع عمّاله جاء فيه : « انظروا إلى مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته ، فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه »(٤) .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١١ : ٤٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢ : ١٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٢٦٤ .

(٤) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما‌السلام : ٢ : ١٧٦ . شرح نهج البلاغة : ١١ : ٤٥ .

وأوعز إلى القضاة بعدم قبول شهادة الشيعة في محاكم القضاء[١].

وقد تحدّثنا عن مآسي الشيعة وما جرى عليهم من الظلم والجور في كتابنا حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام.

وضع الحديث

وكان من موبقات هذا الطاغية أنّه أقام شبكة من المنافقين لوضع الأخبار ونسبتها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي ذات ألوان منها:

١ - فضل الصحابة.

٢ - انتقاص أهل البيت عليهم السلام.

٣ - تشويه الإسلام.

٤ - تشويه سيرة الأنبياء.

٥ - الحطّ من كرامة الخالق العظيم.

وغير ذلك من صنوف الوضع التي دوّنت في الصحاح والسنن، ومن المؤكّد أنّها أساءت إلى الإسلام، وشوهّت واقعه المشرف.

وقد استند إليها أعداء الإسلام في هذا العصر أمثال الأثيم سلمان رشدي الذي وضع كتاب الآيات الشيطانيّة، وفيه الإساءة إلى الإسلام والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

أمّا الأعضاء البارزون في وضع الحديث أيّام معاوية فهم:

١ - أبو هريرة الدوسي.

٢ - سمرة بن جندب.

٣ - عمرو بن العاص.

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٤٨.

٤ ـ المغيرة بن شعبة .

وغير هؤلاء الذين يعيشون على موائد السلطة ، وقد منحهم معاوية الأموال الطائلة لهذه الجهة ، وتعدّ الأخبار الموضوعة من أعظم ما مني به الإسلام من البلاء ، فقد دوّنت بالصحاح ، واعتقد بها بعض المسلمين ، أنّها جزء من عقائد حياتهم وهي بعيدة عن شريعة الإسلام ، وبعيدة عن أحكامه .

البيعة ليزيد

وكانت الخاتمة السوداء لمعاوية أنّه فرض خليعه يزيداً حاكماً على المسلمين ، وكان فيما أجمع عليه الرواة فاسقاً خليعاً مستهتراً بشرب الخمر ومولعاً بلعب الكلاب والقرود ، وغير ذلك من صنوف المنكرات ، فقد أخذ له البيعة وسلّطه على رقاب المسلمين ، وقال فيه : من أحقّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه ، وما أظنّ قوماً بمنتهين حتّى تصيبهم بوائق تجتثّ أُصولهم ، وقد أنذرت إن أغنت النذر »[١] .

بيعة ابن عمر ليزيد

بعث معاوية بمائة ألف دينار أو درهم لعبدالله بن عمر ، وهي رشوة منه له ثمّ دعاه لبيعة يزيد ، فأجاب طائعاً مذعناً ، قال السيّد باسم الحلّي : « بايع الصحابي المحتاط لدينه ـ كما يقولون ـ يزيد ، وأقرّ حكومته بعد أن أُرشاه معاوية بمائة ألف ، وقال في بيعته : إن كان خيراً رضينا ، وإن كان بلاءً صبرنا [٢] ، وكان قبل أن يتسلّم الرشوة قال لمعاوية : إنّ هذه الخلافة ليست بهرقليّة ، ولا قيصريّة ، ولا كسرويّة

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣ : ٢١٧ .

(٢) أنساب الأشراف : ٤ : ٣١ .

يتوارثها الأبناء من الآباء »[١].

وعلى أي حال ، فإنّ معاوية بفرض ابنه يزيد حاكماً على المسلمين قد أخلد لهم الفتن والمصاعب ، وألقاهم في شرّ عظيم .

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ١٤٣ .

حكومة يزيد

وبعد هلاك الطاغية معاوية والتحاقه بقافلة الظالمين تسلّم ابنه يزيد قيادة الحكم، وقد وقع المسلمون في كابوس رهيب من الظلم والجور والطغيان، فقد صاروا في قبضة مجرم أثيم لا يعرف القيم الاجتماعيّة ولا الأعراف السياسيّة قد تربّى على البغي والفجور، وحفلات الخمر والرقص.

وقد تخدّر المجتمع أمام هذا الحكم الارهابي الذي لا يعرف إلّا إشاعة القتل ونشر الحزن والحداد بين الناس، وليس هناك أحد ينادي بالإصلاح الاجتماعي ويتبنّى حقوق المجتمع سوى سبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام أمل هذه الأُمّة ورائد نهضتها الاجتماعيّة الذي تهفوا إليه القلوب، وهذا ما سنتحدّث عنه.

رفض الإمام البيعة ليزيد

وحينما تولّى يزيد الحكم كان همّه إبادة العترة النبويّة وعلى رأسها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام آخذاً بثأر أسلافه الذين حصد رؤوسهم أمير الإمام المؤمنين في واقعة بدر كما أعلن ذلك فيما نسب له من الشعر، ومضافاً لذلك ما يتمتّع به الإمام الحسين عليه السلام من مكانة مرموقة عند المسلمين فهو حفيد النبيّ صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة، وإمام إن قام أو قعد ـ كما في الحديث النبويّ ـ وإليه تهفو القلوب، وتحنو الجباه ويزيد حفيد أبي سفيان، وابن معاوية صاحب المنكرات والأحداث الجسام في الإسلام.

وأصدر الطاغية الفاجر أوامره المشدّدة إلى الوليد بن عقبة عامله على يثرب أن يأخذ له البيعة من أهل المدينة عامّة، ومن الإمام الحسين عليه السلام خاصّة، فإن أبى ضرب عنقه وبعث إليه برأسه، واستدعى الوليد في غلس الليل الإمام الحسين عليه السلام

وأطلعه على رسالة يزيد، فرفض الإمام البيعة في بيت الإمارة، ومركز السلطة، ثمّ خرج من المدينة إلى مكّة، فاحتفّت به الجماهير من أهالي مكّة ومن المعتمرين يسألونه عن أحكام دينهم ومسائل حجّهم، وهو يجيبهم ويحيطهم علماً بالأخطار الهائلة التي مني بها الإسلام في حكم ابن معاوية، والتي تستهدف تدمير جميع الأرصدة الإسلاميّة في جميع مناحي حياة المسلمين، وكان الإمام الحسين عليه السلام يعقد المؤتمرات العامّة في بهو البيت الحرام وفي بيته، ويدعو المسلمين بحماس بالغ إلى مناهضة الحاكم الأموي الذي اتّخذ مال الله تعالى دولاً وعباده خولاً، وأقام حكمه على الذلّ والعبوديّة ونشر الفساد في الأرض.

بيعة ابن عمر ليزيد

أقرّ عبدالله بن عمر بيعة يزيد، واعترف بشرعيّة حكومته وسلطانه، فقد جمع بنيه وقال لهم: «إنّا بايعنا هذا الرجل -يعني يزيد- على بيع الله ورسوله، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقول: هذه غدرة فلان، وانّ من أعظم الغدر -إلّا أن يكون الشرك بالله تعالى- أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله، ثمّ ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرعنّ أحد منكم في هذا الأمر فتكون الصيلم بيني وبينه»[1].

لقد تمسّك ابن عمر ببيعة الفاسق الفاجر، ودعا بنيه إلى الإخلاص لها، وعدم نقضها، وهذا من ورعه وتقواه -كما يقولون-.

وكان ابن عمر المدافع المخلص عن بيعة يزيد، وقد خفّ إلى الإمام الحسين عليه السلام حينما كان في مكّة فأظهر له الشفقة والإخلاص وطلب منه أن يبايع يزيداً ويرضى بحكمه، فشجب الإمام رأيه، وأخبره عن عزمه على مقاومته مهما كلّفه الأمر،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤: ١٨٣.

وقد ذكرنا حديثه في أوائل بحوث هذا الكتاب.

إيفاد مسلم إلى الكوفة

وتوافدت الوفود والرسائل من أهل الكوفة يتبع بعضها بعضاً على الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه القدوم إلى مصرهم لينقذهم من طغيان الأمويّين، ويحرّرهم من جورهم، وتحمّله بعض رسائلهم المسؤوليّة أمام الله تعالى إن تأخّر عن إجابتهم، ولم يجد الإمام بدّاً من إجابتهم فأوفد إليهم ممثّله مسلم بن عقيل الذي هو ثقته والمفضّل عنده من أهل بيته ليأخذ منهم البيعة له، وطوى مسلم البيداء حتّى انتهى إلى الكوفة، وقد استقبل استقبالاً حاشداً، وأبدى الكوفيّون الترحيب به، وانثالوا عليه يبايعون الإمام الحسين عليه السلام، ويظهرون له الإخلاص والطاعة.

وانتهت الأنباء إلى يزيد بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ورفض الكوفيّين لحكومته، ومبايعتهم للإمام الحسين عليه السلام، وإنّ واليه على الكوفة النعمان بن بشير متهاون مع مسلم، فبادر إلى عزله وولّى مكانه الارهابي المجرم عبيدالله بن زياد، وكان شابّاً متهوّراً ممعناً بالفسق والفجور، وكان والياً على البصرة، وقد زاد في رقعة سلطانه فأسند إليه الكوفة مع البصرة، وبذلك فقد ولّاه على جميع العراق.

وغادر ابن زياد البصرة متّجهاً صوب الكوفة وحينما انتهى إليها أشاع فيها الخوف والقتل، فكان يعتقل ويقتل على الظنّة والتهمة، ويأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبّر كما كان يفعل أبوه، وقبض على السلطة بيد من حديد.

وقد تخاذل الكوفيّون وشاعت فيهم أوبئة الخوف فتنكروا لمسلم وخانوا به، وقد استطاع ابن زياد القبض على مسلم فأعدمه مع زعيم الكوفة هانئ بن عروة، وأمر الغوغاء بسحل جثّتيهما في الأزقّة والشوارع ليظهر للكوفيّين قوّة السلطة، وعدم قدرة المقاومة على الوقوف أمامها.

الإمام الحسين عليه السلام في طريقه للشهادة

صمّم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكّة والاتّجاه صوب العراق، فقد وافته الأنباء أنّ يزيد دسّ عصابة لاغتياله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، فخاف الإمام أن تستباح حرمة البيت بسفك دمه فيه، مضافاً إلى أنّ سفيره مسلم بن عقيل في الكوفة طلب منه الإسراع بالقدوم لأنّ الكوفيّين ينتظرونه بفارغ الصبر، وقبل أن يغادر الإمام مكّة خطب أمام حشد من الناس أعلن في خطابه عن شهادته، وأنّه يترقّبها بشوق بالغ قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله:

« خُطَّ الْمَوْتُ عَلىٰ وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلَى جِيْدِ الْفَتاةِ، وَما أَوْلَهَنِي إِلىٰ أَسْلافِي اشْتِياقَ يَعْقُوبَ إِلىٰ يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصالِي تُقَطِّعُها عُسْلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواوِيسِ وَكَرْبَلاءَ، فَيَمْلأَنَّ مِنِّي أَكْراشاً جَوْفاً ».

وأضاف الإمام قائلاً:

« لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضا اللهِ رِضانا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلائِهِ وَيُوَفِّينا أُجُورَ الصَّابِرِينَ »[(١)].

حكى هذا الخطاب عزم الإمام على الشهادة في سفره إلى العراق، وأنّه لا أمل له في الحياة، وقد استطاب الشهادة لأنّ فيها نصرة للحقّ وذبّاً عن القيم والمبادئ الإسلاميّة.

في كربلاء

سار مفخرة الإسلام ومجد هذه الأُمّة إلى كربلاء عازماً على الشهادة ليملي على صفحات الكون إرادته العظيمة التي ورثها من جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله الذي قال لقريش

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٧.

حينما منّته بما يريد إن ترك دعوته الخالدة قائلاً لهم : « **لَوْ أُعْطيتُ الشَّمْسَ بِيَمِيني ، وَالْقَمَرَ بِيَساري عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ** ـ يعني الإسلام ـ **ما تَرَكْتُهُ حَتّىٰ أَموتَ دونَهُ أَوْ يُظْهِرَهُ اللهُ** ».

على هذا النهج المشرق الحافل بالبطولات سار حفيد الرسول فناهض طغاة الأمويّين في ملحمة رهيبة لم يشاهد التاريخ لها نظيراً في مآسيها وآلامها .

لقد استهدف الأمويّون محق الإسلام ، وإزالة أرصدته ، ومحو حضارته ، وإعادة الجاهليّة بأوثانها وأصنامها وإباحتها ، إلّا أنّ سبط الرسول وقف أمامهم ، وحطّم أوثانهم ، وفي شهادته أعاد للإسلام نضارته وحضارته ومكوّناته .

وزحف أبو الأحرار إلى الشهادة ترافقه القلّة المؤمنة من أهل بيته وأصحابه وقد أبدوا من القيم الرفيعة والمثل العليا ما يقصر عنه كلّ وصف .

ووقف أبو الأحرار أمام أُولئك الأرجاس من جيوش الأمويّين ، فأعلن عن استهانته بالحياة قائلاً : « **فَإِنّي لا أَرَى الْمَوْتَ إِلّا سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً** »[١] .

وقال : « **أَلا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَينِ بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ ، يَأْبَى اللهُ لَنا ذلِكَ وَرَسولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَحُجُورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ** »[٢] .

إنّ ثورة أبي الأحرار أروع وأسمى مثل للكرامة الإنسانيّة التي تأبى الذلّ والخضوع للظلم والطغيان ، فما أجلت الدنيا عن مثله في سموّه ، وعظيم شأنه ، وجلال قدره ،

---

(١) المعجم الكبير : ٣ : ١١٤ و ١١٥ ، الحديث ٢٨٤٢ . حلية الأولياء : ٢ : ٣٩ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٧ و ٢١٨ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٢ .

(٢) تحف العقول : ٢٤٠ ـ ٢٤٢ . الاحتجاج : ٢ : ٩٧ ـ ١٠٠ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٠ . اللهوف : ٥٨ ـ ٦٠ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٨ ـ ١٠ ، ٨٣ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٨ و ٢١٩ . مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي : ٢ : ٦ ـ ٨ .

فقد ترجّل للموت بشوق وعزّ ، وتصميم وإرادة ، وقد سقى شجرة الكرامة الإسلاميّة بدمه الزاكي مع أبنائه وأصحابه أبطال التاريخ ، وقادة الأُمم والشعوب ، فملأوا الدنيا نوراً وشرفاً ، وصارت البقعة التي استشهدوا فيها من أقدس وأعزّ بقاع العالم ، فما أضلّت سماء الدنيا مكاناً قطّ أفضل ولا أسمى من كربلاء لما حوته من قيم الشهداء الذين فجّروا النور في أحلك الظروف وأقساها محنة .

لقد صارت كربلاء محجّاً للنّاس متّفقين ومختلفين في أديانهم ومذاهبهم .

يقول بولس سلامة :

كَـربَلاءُ سَـتَصبَحينَ مَـحَجّاً ... وَتَـصيرينَ كَـالهَواءِ انْـتِشارا
ذِكرُكِ المُفجعُ الأَليمُ سَيَغْدو ... في البَرايا مِثلَ الضِّياءِ انْـتِشارا
فَيَكونُ الهُدىٰ لِمَنْ رامَ هَـدْياً ... وَفَخاراً لِمَنْ يَـرومُ الفَـخارا [١]

ويقول الجواهري في رائعته :

تَعالَيْتَ مِنْ مُـفْزِعٍ لِلحُتُوفِ ... وَبُـورِكَ قَـبْرُكَ مِـنْ مَـفْزَعِ
تَـلُوذُ الدُّهُـورُ فَـمِنْ سُـجَّدٍ ... عَلىٰ جانِبَيْهِ وَمِـنْ رُكَّـعِ [٢]

وقد ذكرنا عرضاً مفصّلاً لثورة أبي الأحرار في كتابنا حياة الإمام الحسين عليه‌السلام ، فذكرنا القيم الأصيلة والمثل العليا في هذه الثورة المباركة التي أضاءت في سماء الدنيا وسجّلت للإسلام عزّاً وللمسلمين فخراً .

واقعة الحرّة

من المآسي المروّعة في حكومة الباغي يزيد انتهاكه لحرمة عاصمة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله

---

(١) عيد الغدير : ٢٦٢ .

(٢) ديوان الجواهري : ١ : ١٩٤ .

التي أعلن أهلها رفضهم الكامل لحكومته، فأرسل لاحتلالها وإسقاط مكانتها جيشاً بقيادة مجرم أثيم هو مسلم بن عقبة، وعهد إليه بانتهاك الحرمات من سفك الدماء، ونهب الأموال، وإباحة الأعراض، واقترف جيشه بعد احتلاله لعاصمة النبيّ ﷺ كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم، فقد قتل من حملة القرآن سبعمائة شخص[١]، وقتل خلقاً من الأنصار، وفيهم من صحب النبيّ كعبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، واستشهد معه ثمانية من أبنائه وافتضّ ألف بكر، وحملت ألف امرأة من غير زوج[٢]، وأخذ البيعة من المدنيّين على أنّهم خول وعبيد ليزيد[٣].

ولمّا بلغ يزيد نبأ هذه المأساة المروّعة ابتهج وملئت نفسه الشريرة سروراً، وراح يقول:

لَـيتَ أَشْـياخِي بِبَدرٍ شَـهِدُوا   جَزَعَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَلْ[٤]

وقد أنشد هذا الشعر في قتله لسيّد الشهداء عليه السلام، وهو يحكي كفره وإلحاده، وإيمانه بقيم أبيه معاوية وجدّه أبي سفيان.

موقف ابن عمر

أمّا موقف ابن عمر من هذه المأساة التي انتهكت فيها كرامة الإسلام، فهو التأييد ليزيد، وقد ألقى باللّائمة على الأنصار فهم الذين جرّوا لأنفسهم القتل والتنكيل

---

(١) أنساب الأشراف: ٤: ٤٢.

(٢) تاريخ ابن كثير: ٨: ٢٢١.

(٣) لسان الميزان: ٦: ٢٩٤.

(٤) أنساب الأشراف: ٤: ٤٢. الأمالي / الصدوق: ٢٢٩ ـ ٢٣١. اللهوف: ١٠٥ و ١٠٦. روضة الواعظين: ١٩١. مقاتل الطالبيّين: ١١٩. تذكرة الخواص: ٢٣٥. البداية والنهاية: ٨: ١٩٤.

بسبب خروجهم عن طاعة يزيد ، فقد روى عبدالله بن مطيع أنّه دخل على عبدالله بن عمر في أيّام (الحرّة) فقال : « سمعت النبيّ ﷺ يقول : من نزع يداً من طاعة لم تكن له حجّة يوم القيامة ، ومن مات مفارقاً للجماعة ، فإنّه يموت ميتة جاهليّة »(١).

حكى حديث ابن عمر تجاوبه مع يزيد وإقراره لهذه الجريمة التي أذلّت المسلمين ، ولم يعر ابن عمر اهتماماً لحديث النبيّ ﷺ في فضل أهل المدينة ، فقد قال : « **مَنْ أخافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخافَهُ اللهُ تَعالىٰ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ** »(٢).

إنّ تجاوب ابن عمر مع يزيد وإقراره لاقترافه لهذه الكبائر من الفضائح التي هزّت الضمير العالمي ، يؤاخذ عليها ابن عمر كما يحاسب عليها عند الله تعالى .

هلاك يزيد

هلك الطاغية المجرم يزيد الذي أغرق العالم الإسلامي بالمحن والخطوب ، وأخلد لهم المآسي والحزن حشره الله تعالى مع أبيه معاوية وجدّه أبي سفيان ، وصبّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم لا يخفّف عنهم ، وهم فيه خالدون .

وآلت الخلافة من بعده إلى ولده معاوية فاستقال منها ورفضها وندّد بأعمال جدّه وأبيه ، وأبدى أسفه البالغ أن يكون أبوه يزيد ، وهذا نصّ خطابه الذي أعلن فيه استقالته من الحكم ، قال :

« إنّ جدّي معاوية نازع الأمر مَن كان أوْلى به لقرابته من رسول الله ﷺ وقدمه وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأوّلهم إيماناً ، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته ، جعله لها بعلاً باختيارها له ، فهما بقيّة رسول الله خاتم النبيّين ، فركب جدّي

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٣ : ٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٤ : ٥٥.

منه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتّى أتته منيّته ، فصار في قبره رهيناً بذنوبه ، وأسيراً بجرمه ، ثمّ قلّد أبي الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، وأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار في قبره بذنوبه ، وأسيراً بجرمه » .

ثمّ بكى وقال :

« إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه ، وبئيس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ ، وأباح الحرم ، وخرّب الكعبة »[١] .

وقد حكى هذا الخطاب سموّ تفكيره ، وعظيم إيمانه ، وخشيته من الله تعالى ، وقد تهدّم باستقالته عن الحكم ملك آل أبي سفيان الذي جهد معاوية على إقامته .

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر : ٢ : ١٥ .

حكومة ابن الزبير

وقبل الحديث عن حكومة ابن الزبير وسلطانه نعرض إلى صفاته وعناصره النفسيّة، والتي منها:

١ ـ البخل

من أبرز صفات ابن الزبير البخل وشحّ النفس، وأدّت هذه الظاهرة النفسيّة إلى فشل سياسته وسقوط حكومته، وقد عانى الموالي في أيّام حكومته البؤس والحرمان. يقول شاعرهم:

إنَّ المَوالِيَ أَمسَتْ وَهيَ عاتِبَةٌ ... عَلَى الخَلِيفَةِ تَشكُو الجُوعَ وَالحَرَبا
ماذا عَلَينا وَماذا كانَ يَرزَؤُنا ... أيُّ المُلُوكِ عَلَى ما حَولَنا غَلَبا [1]

وقد كرهه جيشه وسئم منه، لأنّه لم ينفق عليهم سوى التمر، ولم يمدّهم بما يحتاجونه في حياتهم الاقتصاديّة، وفيه يقول الشاعر:

رَأَيتُ أَبا بَكْرٍ وَرَبُّكَ غالِبٌ ... عَلىٰ أَمْرِهِ يَبغِي الخِلَافَةَ بِالتَّمرِ [2]

وحينما حاصره الحجّاج انهزم جيشه، فقال لهم: «أكلتم تمري وعصيتم أمري».

ومن المؤكّد أنّ مَن كانت صفته البخل فإنّه لا بدّ أن يفشل ويطوى حكمه.

٢ ـ الرياء

وصفة أُخرى من صفاته وهي الرياء، فقد كان يطيل العبادة في بيت الله الحرام

---

(١) أنساب الأشراف: ٥: ٣٧٣. مروج الذهب: ٣: ٧٥.

(٢) المعارف: ٢٢٥، وفيه: «كان يكنى عبدالله بن الزبير أبابكر».

لإغراء الناس واصطيادهم ، ووصفه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام بقوله : « **خَبٌّ ضَبٌّ يَرومُ أمْراً لَا يُدْرِكُهُ ، يَنْصِبُ حِبالَةَ الدِّينِ لاصْطِيادِ الدُّنْيا ، وَهُوَ بَعْدُ مَصْلوبُ قَرَيْش** »[١] .

وقد طلبت زوجة عبدالله بن عمر منه أن يبايع ابن الزبير ، وذكرت له عبادته وطاعته ، فقال لها : « أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحجّ عليها الشهباء ، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ »[٢] .

وقد أعلن ابن الزبير بعد شهادة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه‌السلام أنّه يطلب بثأره وذلك لكسب البسطاء ، ولكن سرعان ما انكشف زيفه ، فهو من أعدى مَن عاداهم ، ورحم الله أبا الحسن التهامي يقول :

ثَوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عَمّا تَحتَهُ وَإِذا التَحَفْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عارِي

٣ ـ الحسد

من نزعات ابن الزبير الحسد ، خصوصاً على ذوي المكانة الاجتماعيّة ، فقد حسد سبط رسول الله الإمام الحسين عليه‌السلام مفخرة الإسلام حينما كان في مكّة ، وقد احتفّت به الجماهير تقدّسه وتعظّمه ، وتسأل عن أحكام الإسلام ، وشعر أنّ الناس لا يعدلون عن الإمام إليه ، وذلك لضعف مركزه الاجتماعي فراح يحثّ الإمام على مغادرة مكّة ، والشخوص إلى العراق قائلاً له : « ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ، فوالله لو أنّ لي مثلهم ما توجّهت إلّا إليهم »[٣] .

ولم يخف على الإمام الحسين عليه‌السلام زيف كلامه ، فقال لأصحابه : **إنَّ هٰذا** ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ **لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْحِجازِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٧ : ٤٨ . بحار الأنوار : ٤١ : ٣٥١ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما‌السلام : ٢ : ٣٢٣ .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٤١ ـ ٦٠) : ٤ : ١٧٠ .

النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَهُ بِي فَوَدَّ أَنِّي خَرَجْتُ حَتَّىٰ يَخْلُوَ لَهُ(١).

وقد حقد على أخيه مصعب ، وعزله عن ولاية البصرة لمّا شعر أنّه يريد أن ينافسه في الحكم(٢).

٤ ـ حقده على العلويّين

وصفة سيّئة من صفاته ، وهي الحقد البالغ على العلويّين ، فكان يكنّ لهم البغض والعداء ، وهو الذي صرف أباه عن الخطّ العلويّ بعدما كان من الرموز الموالية لهم .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **ما زالَ الزَّبَيْرُ مِنّا حَتّىٰ نَشَأَ ابْنُهُ عَبْدُاللهِ** »(٣).

وكان من عدائه السافر للعلويّين أنّه مكث أربعين يوماً لم يصلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبه ، فأنكر المسلمون عليه ذلك فقال : « إنّ له أهل بيت سوء إذا ذكرته اشرأبّت نفوسهم ، وفرحوا بذلك ، فلا أُحبّ أن أُقرّ عيونهم »(٤).

وفي أيّام حكومته دعا محمّد بن الحنفيّة وعبدالله بن عبّاس وأربعة وعشرين شخصاً من بني هاشم وطلب منهم البيعة له ، فرفضوا ذلك ، فأودعهم السجن ، وهدّدهم بأن يحرقهم بالنار ، وعيّن وقتاً لذلك ، ورفع ابن الحنفيّة رسالة إلى المختار حاكم العراق يستنجد به لإنقاذهم من ابن الزبير ، فوجّه المختار أربعة آلاف مقاتل إلى مكّة ، فأحاطوا بالسجن وأخرجوهم منه ، وطلب قائد جيش المختار من ابن الحنفيّة أن يشنّ حملة عسكريّة على ابن الزبير ، فأبى محمّد ، وقال : « لا أستحلّ من قطع رحمه ما استحلّ منّي » .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٨٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٦ .

(٢) عبدالله بن الزبير من رموز السياسة الفاشلة : ٢٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٣٤ : ٢٨٩ .

(٤) العقد الفريد : ٤ : ٤١٢ . بحار الأنوار : ٤٨ : ١٨٣ .

ومن المؤكّد أنّ ابن الزبير لو استقام حكمه لاقترف أفحش الجرائم وأكثرها قسوة مع السادة العلويّين.

حكومته

وحاصرت جيوش يزيد البيت الحرام الذي احتمى فيه ابن الزبير، ودارت معارك رهيبة بين جيش يزيد وجيش ابن الزبير، يريد جيش يزيد أن يحرز النصر لينال جوائزه وعطاياه، ويريد أصحاب ابن الزبير أن يحموا بيت الله الحرام من شرّ أُولئك الوحوش الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً، وقد أبدوا من البسالة ما يفوق حدّ الوصف.

وبينما كانت المعارك بين الفريقين مشتدّة وافتهم الأنباء بهلاك الطاغية يزيد، فأسرع الحصين بن نمير القائد العامّ لقوّات يزيد إلى ابن الزبير فأبدى له الإقرار بالحكم والسلطان، وطلب منه أن يخرج معه ليأخذ له البيعة من أهل الشام حتّى يعمّ حكمه في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

كما طلب منه أن يحاط حديثه معه بكثير من الكتمان، إلّا أنّه لم يعن بذلك، فخرج الحصين وهو يقول: «كذب مَن يقول إنّك تصلح للخلافة»[1].

ودلّ ذلك على قلّة وعيه السياسي، ولو خرج مع الحصين لاستقامت له الأُمور، وبسط سلطانه على العالم العربي والإسلامي.

عبدالله بن عمر وابن الزبير

روى الزهري عن حمزة بن عبدالله بن عمر أنّ رجلاً قصد عبدالله بن عمر، فقال له: يا أبا عبدالرحمن، إنّي والله حرصت على أن أسمت سمتك، واقتدي بك في

---

(١) عبدالله بن الزبير من رموز السياسة الفاشلة: ٣٥.

أمر فرقة الناس ، فاعتزل الشرّ ما استطعت ، وإنّي أقرأ آية من كتاب الله تعالى محكمة قد أخذت بقلبي ، فأخبرني عنها ؟ أرأيت قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا** ﴾ الآية[1] .

فقال له عبدالله بن عمر : مالك ولذلك ، انصرف عنّي .

فقام الرجل وانطلق حتّى توارى عنّا سواده ، فأقبل علينا عبدالله ، فقال : ما وجدت في نفسي في شيء من أمر هذه الآية أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى .

فقال حمزة : ومَن ترى الفئة الباغية ؟

قال ابن عمر : ابن الزبير بغى على هؤلاء القوم فأخرجهم من ديارهم ونكث عهدهم »[2] .

عنى ابن عمر بالقوم الأمويّين الذين كانوا في مكّة فأخرجهم من ديارهم لمّا بويع .

وشكّك السيّد باسم الحلّي في الرواية ، وقال : « إنّ ما رواه الزهري عن ابن عمر أنّ الفئة الباغية هي ابن الزبير لا تقوم بها حجّة ولا تنهض دليلاً على المدّعى فرواتها تتردّد أحوالهم بين الجهالة والضعف »[3] .

وقد مرّت هذه الرواية ، وانّ ابن عمر كان متردّداً في تشخيص الفئة الباغية التي حاربت الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام في حرب الجمل وصفّين والنهروان ، ولم يعرف أنّها كانت باغية في حربها للإمام أم أنّها ليست باغية وهو يكشف عن ضعف إيمانه ، فإنّ هذه الحروب التي واجهها كانت باغية وعلى ضلال ، إنّها خرجت على السلطة

---

(١) الحجرات ٤٩ : ٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٩٣ .

(٣) عبدالله بن عمر : ١٨٩ .

الشرعيّة ، مضافاً إلى الأخبار المتواترة عن النبيّ أنّ الإمام مع الحقّ والحقّ معه .

ابن عمر يحذّر ابن الزبير من انتهاك حرمة الكعبة

حذّر ابن عمر عبدالله بن الزبير من انتهاكه لحرمة البيت الحرام الذي اعتصم به واتّخذه مقرّاً لحكومته قائلاً له : «إيّاك والإلحاد في حرم الله تعالى ، فأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : **يُحِلُّها وَتَحِلُّ بِهِ** ـ أي الكعبة ـ **رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَوْ وُزِنَتْ ذُنوبُهُ بِذُنوبِ الثَّقَلَيْنِ لَوَزَنَتْهُما** ، قال : فانظر لا تكونه[١] .

ولم يحفل ابن الزبير بالكعبة ، فقد اتّخذها مقرّاً له ، وهجمت عليه جيوش الأمويّين فرموا الكعبة حتّى ألصقوها بالأرض .

رسالة ابن عمر إلى ابن الزبير

رفع ابن عمر رسالة إلى ابن الزبير حذّره فيها من التصدّي للخلافة ، جاء فيها : «إنّك أُمّرت على رقاب الناس من غير شورى ، فدع ما أنت فيه فإنّك لست في شيء»[٢] .

نهاية ابن الزبير

وبعد ما أطاح عبدالملك بن مروان بحكومة مصعب بن الزبير في العراق توجّه جيشه بقيادة الحجّاج الثقفي إلى مكّة للقضاء على عبدالله بن الزبير ، وحينما انتهى الجيش إلى مكّة التحم مع جيش ابن الزبير ، وقد انهزم معظمه وذلك لبخله ، وعرض عليه بعض الأمويّين الأمان ، فأبى ، وقالت له أُمّه : أي بني لا تقبل خطّة تخاف

(١) تفسير ابن كثير : ٣ : ٢٢٥ . البداية والنهاية : ٨ : ٣٧٤ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٩١ .

على نفسك منها مخافة القتل مت كريماً وإيّاك أن تؤسر أو تعطي بيديك.

فقال لها : يا أُمّاه ، أخاف أن يمثّل بي بعد القتل.

فقالت له : وهل تتألّم الشاة من ألم السلخ بعد الذبح ؟

ولمّا أيقن ابن الزبير بالقتل جعل يتناول قطعاً من المسك ، فسئل عن ذلك ، فقال : إنّ الحجّاج سوف يصلبني ، وأُحبّ أن تنتشر منّي رائحة المسك فيقول الناس قتل الطيّب ، فأغريهم بذلك ، وهذا من الرياء بعد الموت ، وفعلاً لمّا قتل صلبه الحجّاج ، فانتشرت منه رائحة طيّبة ، فصاح الناس قتل الطيّب ، وأخبر الحجّاج بذلك فأمر بذبح سنور وجعل في جوفه حتّى خفيت رائحة الطيب ، فقال الحجاج : أفسدنا ما أراده ابن الزبير ، وبقي أيّاماً مصلوباً ، فكلّمته أسماء في دفنه فأبى ، إلّا أنّه بعد ذلك أجاب »[١].

وعلى أي حال ، فقد انطوت بهلاك ابن الزبير صفحة من رموز السياسة المعادية لأهل البيت ، فكانت نهايتها على يد الحجّاج.

ومن الجدير بالذكر أنّ رجلاً سأل ابن عمر عن القتال مع الحجّاج أو ابن الزبير ، فقال له : مع أي الفريقين قاتلت ، فقتلت ففي لظى »[٢].

ومعنى ذلك أنّ ابن الزبير والحجّاج كانا على ضلال ، وأنّ القاتل والمقتول في لظى.

خطاب الحجّاج

وبعد ما قضى الحجّاج على ابن الزبير خطب أمام الجماهير ، فقال : « إنّ ابن الزبير

---

(١) عبدالله بن الزبير من رموز السياسة الفاشلة : ٣٨.

(٢) عبدالله بن عمر : ٢٣٤ ، نقلاً عن الفتن : ٩٢.

حرّف كتاب الله.

فانبرى إليه عبدالله بن عمر قائلاً بعنف: كذبت، كذبت، كذبت ما يستطيع ذلك -أي تحريف القرآن- ولا أنت معه.

فردّ عليه الحجّاج: اسكت فقد خرفت وذهب عقلك، يوشك شيخ أن يـؤخذ فتضرب عنقه فيخرّ، قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان البقيع»(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤: ١٨٤. سير أعلام النبلاء: ٤: ٣٦٦.

حكومة مروان

من المآسي التي امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً أنّ الخلافة الإسلاميّة التي هي ظلّ الله تعالى في الأرض ، والصمّام في جسم الأُمّة تقيم أودها ، وتوفّر لها الأمن والرخاء ، وتشيع الحضارة الإسلاميّة بمقوّماتها ، ولكن آلت إلى ذئاب اتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً ، وكان من هؤلاء الذئاب مروان بن الحكم الذي لم يتمتّع بأي صفة كريمة .

وهذا عرض موجز لبعض مكوّناته النفسيّة :

صفات مروان

أمّا صفات مروان ، ونزعاته النفسيّة ، فهي :

١ ـ الغدر

من مظاهر صفات مروان الغدر ونكث العهد ، فقد بايع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان ، ثمّ نكث بيعته وخرج عليه ، وبعد ما وقع أسيراً في حرب الجمل جاء به الحسنان عليهما السلام ليبايع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرّة ثانية ، فقال عليه السلام : **لَا حَاجَةَ لِي في بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ**[١] .

٢ ـ الحسد

من نزعات مروان الحسد ، يقول فيه مالك بن هبيرة السكوني للحصين بن نمير : « والله لئن استخلف مروان ليحسدك على سوطك ، وشراك نعلك ، وظلّ شجرة

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ١٢٣ ، الخطبة ٧٣.

تستظلّ بها»(١).

٣ـ الاندفاع نحو الباطل

من صفات مروان أنّه كان سريعاً لإجابة الباطل ، فقد انضمّ إلى حزب عائشة ، ثمّ إلى معاوية ، وقد لقّب بخيط باطل ، وفيه يقول الشاعر :

لَعَمرُكَ ما أَدري وَإِنّي لَسائِلٌ　　حَليلَةَ مَضروبِ القَنا كَيفَ يَصنَعُ
لَحا الله قَوماً أَمَّروا خَيطَ باطِلٍ　　عَلى النّاسِ يعُطي ما يشَاءُ وَيَمنَعُ(٢)

وظلّت هذه الصفة سمة عار لأبنائه ، يقول يحيى بن سعيد في هجاء عبدالملك الذي قتل عمرو بن سعيد :

غَدَرتُمْ بِعَمْرٍو يا بَني خَيطَ باطِلٍ　　وَمِثلُكُمْ يَبْني البُيوتَ عَلى الغَدرِ(٣)

٤ـ إنكار المعروف

من ذاتيّات مروان إنكار المعروف ، ومقابلة مَن أحسن إليه بالإساءة ، فقد أسدى إليه السبطان الحسن والحسين عليهما السلام معروفاً وإحساناً ، فأنقذاه من الموت في حرب الجمل ، فقد تشفّعا عند أبيهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فاستجاب لهما وأطلق سراحه ، إلّا أنّه قابل إحسانهما بالإساءة إليهما ، فقد منع جنازة الإمام الحسن أن تدفن بجوار جدّه ، وقد حرّض عائشة على ذلك ، وبالنسبة إلى الإمام الحسين حينما دعاه الوليد إلى بيعة يزيد أشار على الوليد بقتله إن امتنع عن البيعة ، وهو الذي أظهر الشماتة والفرح بشهادة الإمام .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٣٧.
(٢) أُسد الغابة : ٤ : ٣٤٨.
(٣) أنساب الأشراف : ٥ : ١٤٢.

هذه بعض صفات مروان ، وهي تحكي صورة إنسان ممسوخ لا عهد له بالشرف والكرامة .

خلافته

ولم يكن مروان يحلم بالخلافة ، وإنّه كان عازماً على البيعة لابن الزبير ، كما إنّ الأوساط الشعبيّة في الشام كان لها هوى مع عبدالله بن عمر ، فقام روح بن زنباع خطيباً ، فقال : « أيّها الناس ، إنّكم تذكرون عبدالله بن عمر بن الخطّاب ، وصحبته من رسول الله ﷺ ، وهو كما تذكرون ، ولكن ابن عمر رجل ضعيف وليس بصاحب اُمّة محمّد »[١] .

ثمّ قال : « يا أهل الشام ، هذا مروان بن الحكم شيخ قريش ، والطالب بدم عثمان ، والمقاتل لعليّ بن أبي طالب يوم الجمل ويوم صفّين ، فبايعوا الكبير »[٢] .

وانبرى الحصين بن نمير فخاطب الشاميّين قائلاً : « إنّي رأيت في المنام قنديلاً معلّقاً في السماء ، وأنّ من يلي الخلافة يتناوله ، فلم ينله أحد إلّا مروان »[٣] .

وتسابق الغوغاء إلى مبايعة مروان وهو أوّل خليفة للدولة المروانيّة التي عانى منها المسلمون الفقر والحرمان .

تطاول مروان على ابن عمر

تطاول مروان على عبدالله بن عمر ، فقال : « إنّ ابن عمر ليس أفقه منّي »[٤] .

---

(١) تاريخ الاُمم والملوك : ٤ : ٤٦٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٢ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٤ : ١٤٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٢ .

ولم يملك مروان أيّ بضاعة من الفقه ، وإنّما تطاول على ابن عمر لقول أبيه : « إنّه لا يحسن طلاق زوجته » .

وفاة مروان

ولم تطل خلافة مروان ، وإنّما كانت قصيرة كلعقة الكلب أنفه على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام(١) ، وتعزو بعض المصادر سبب وفاته إلى زوجته أُمّ خالد التي تزوّج بها بعد هلاك زوجها يزيد بن معاوية ، فقد عيّر ولدها خالد بها فاستاء وشكا ذلك إليها ، فعمدت إلى جواريها في غلس الليل وهجمت عليه ، فجلست على وجهه ، وقبل أن يفارق الحياة ارتفع صوتها بالبكاء ، وسارع أبناؤه فجعل يشير إليها ليفهمهم أنّها التي قتلته ، وجعلت تبكي وهي تقول أمام أبنائه : بأبي أنت يا مروان ، توصي بي حيّاً وميّتاً ، ثمّ فارق الحياة ، وقد انطوت بموته صفحة ملوّثة بالخيانة والباطل .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢ : ٥٣ .

حكومة عبدالملك بن مروان

وقبل أن يتقلّد عبدالملك الخلافة كان يظهر النسك والعبادة ، ولمّا بشّر بالملك كان بيده المصحف الكريم فطبقه وقال : « هذا فراق بيني وبينك »[١] .

وصدق فيما قال ، فقد فارق الكتاب والسنّة ، وعادى الله ورسوله ، واقترف من الموبقات التي حكت تجرّده من جميع القيم الإنسانيّة .

وقد بايعه ابن عمر ، وأقرّ سلطانه ، وصلّى خلف ولاته من الذئاب ، ودفع إليهم زكاة أمواله .

صفاته

ونعرض بإيجاز إلى بعض صفات عبدالملك :

١ ـ الجبروت

من صفات عبدالملك أنّه كان متكبّراً جبّاراً ، لا يبالي بما صنع كما يقول نظيره الدوانيقي[٢] .

وكان من جبروته أنّه لمّا أطاح بحكومة ابن الزبير خطب وقال في خطابه : « لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه »[٣] .

وهذا هو الطغيان والتمرّد على الله تعالى وعلى خلقه .

---

(١) البداية والنهاية : ٨ : ٢٦٠ .

(٢) النزاع والتخاصم : ٨ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ٢١٩ .

٢ ـ الغدر

وصفة أُخرى من صفات عبدالملك الغدر ونكث العهد ، فقد أعطى الأمان إلى قرابته عمرو بن سعيد الأشدق ، ووعده بأن تكون الخلافة له من بعده ، إلّا أنّه خاس بعهده فغدر به وقتله ، وفيه يقول الشاعر:

يا قَومِ لَا تُغْلَبوا عَنْ رَأيِكُمْ فَلَقَدْ … جَرَّبْتُمُ الغَدرَ مِنْ أَبْناءِ مَرْوانا
أَمْسَوا وَقَدْ قَتَلوا عَمْراً وَما رَشَدوا … يُدعَونَ غَدْراً بِعَبدِاللهِ كَيْسانا
تَلاعَبوا بِكِتابِ اللهِ فَاتَّخَذوا … هواهُمُ في مَعاصِي اللهِ قُرْآنا [١]

لقد كان الأشدق جبّاراً مسرفاً في إراقة الدماء ، ولو أبقاه عبدالملك لاتّخذ التدابير فأزال سلطانه .

٣ ـ سفك الدماء

أسرف عبدالملك في سفك الدماء ، ونشر الحزن والحِداد في بيوت المسلمين ، غير متأثّم من ذلك ، وقد أعلن ذلك في خطابه قائلاً: « إنّي لا أُداوي أدواء هذه الأُمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم »[٢].

وما كان ضميره القاسي يفقه غير سفك الدماء وإشاعة الخوف والارهاب بين الناس .

٤ ـ البخل

وظاهرة أُخرى من نزعاته البخل ، فكان يسمّى لبخله « رشح الحجارة »[٣].

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٠٣.

(٢) الذهب المسبوك : ٢٩. البداية والنهاية : ٩: ٧٨. تاريخ الخلفاء : ٢٠٤.

(٣) تاريخ القضاعي : ٧٢.

ولقد عانى المسلمون في أيّام حكمه البؤس والحرمان ، كما عانوا الظلم والجور .

ولايته للحجّاج

من سيّئات عبدالملك ومن جرائمه أنّه ولّى الحجّاج بن يوسف الثقفي الذي لم يعرف التاريخ له نظيراً في جرائمه وموبقاته ، وقد قال فيه عمر بن عبدالعزيز : « لو جاءت كلّ أُمّة بخبيثها ، وجئنا بالحجّاج لغلبناهم »[(١)].

وقال عاصم : « ما بقيت لله عزّ وجلّ حرمة إلّا وقد ارتكبها الحجّاج »[(٢)].

لقد تعرّى هذا الخبيث من الإنسانيّة ومن كلّ نزعة شريفة ، وراح يحصد أرواح الناس ويتلذّذ بسفك دمائهم ، فكان يجد في ذلك أهمّ متعه النفسيّة .

لقد كان هذا الإنسان الممسوخ من دعائم الشرّ والظلم في الأرض ، وهذا عرض لبعض مكوّناته النفسيّة :

اندفاعه للجريمة

ومن عناصره النفسيّة الاندفاع نحو الجريمة والإساءة إلى الناس ، ولمّا أراد الحجّ استعمل مكانه شخصاً اسمه محمّد ، وقد خطب في الناس فقال لهم : « إنّي استعملت عليكم محمّداً ، وقد أوصيته فيكم خلاف وصيّة رسول الله ﷺ بالأنصار ، فإنّه قد أوصى أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم »[(٣)].

يقول الدميري : «كان الحجّاج لا يصبر عن سفك الدماء ، وكان يخبر عن نفسه أنّ

---

(١) الكامل في التاريخ : ٤ : ١٣٣ . نهاية الإرب : ٢١ : ٣٣٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٩ : ١٣٢ .

(٣) مروج الذهب : ٣ : ١٦ .

أكثر لذّاته إراقته للدماء »[١].

وكان عدد مَن قتلهم صبراً مائة وعشرين ألفاً سوى مَن قتلهم في حروبه[٢]..

وقد اعترف بعدم مبالاته بإراقة الدماء، قال: « والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم منّي »[٣].

وقد أنكر عليه عبدالملك إسرافه في ذلك، إلّا أنّه لم يعن به[٤].

ولا يوجد في تاريخ المجرمين مثل هذا الجلّاد في قسوته وتجرّده من المعايير الإنسانيّة.

خطبته في الكوفة

امتحنت الكوفة في أيّام هذا الجبّار، فقد كان يقتل على الظنّة والتهمة، ويأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وقد خطب في الكوفة خطاباً قاسياً لم يحمد الله تعالى ولم يثنِ عليه، ولم يصلِّ على النبيّ ﷺ، وقد جاء في خطابه: « يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق والمراق، ومساوئ الأخلاق، إنّ أمير المؤمنين ـ يعني عبدالملك ـ نثل كنانته فحجمها عوداً عوداً، فوجدني من أمرّها عوداً، وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وإنّه قلّدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف »[٥].

وأضاف قائلاً:

---

(١) حياة الحيوان: ١: ١٦٧.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ٢١١. تيسير الوصول: ٤: ٣١.

(٣) الطبقات الكبرى: ٦: ٦٦.

(٤) حياة الحيوان: ١: ١٧٠.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٧٣.

«إنّي والله لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً متطاولة ، ورؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، وإنّي أنا صاحبها ، كأنّي أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى»[١].

ثمّ أنشد :

أَنا ابْنُ جَلا وَطلّاعُ الثَّنايا مَتىٰ أَضَعُ العِمامَةَ تَعرِفوني

ومضى الجلّاد الخبيث يحصد الرؤوس حتّى بلغ الخوف بين الناس أقصاه ، وحتّى أنّه لم يبق أحد إلّا ارتعدت فرائصه ، وهمّته نفسه[٢].

ومن طريف ما ينقل أنّ الحجّاج قرأ في سورة هود الآية في ابن نوح ﴿ **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾[٣] ، فلم يدرِ في عمل هل هو ماضٍ أو مصدر ، أي عملَ أو عملٌ ، فقال : ائتوني بقارئ ، فأتوا به ثمّ قام من مجلسه فحبس القارئ ونسي الحجّاج أمره ، وبعد ستّه أشهر عرض عليه القارئ ، فقال له : فيم حبست ؟

فقال : في ابن نوح ، أصلح الله تعالى الأمير[٤].

سجونه

أنشا الطاغية سجناً لا يقي من حرّ ولا من برد ، وكان يعذّب بأقسى العذاب ، فكان يشدّ على بدن المسجون القصب الفارسي ذي الشقوق ويجرّه به حتّى يسيل دمه ، ويقول المؤرّخون : إنّه مات في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، منهنّ ستّة عشر ألفاً مجرّدات ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[٥].

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٢٨.

(٢) الطبقات الكبرى : ٦ : ١٦.

(٣) هود ١١ : ٤٦.

(٤) حياة الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام : ٢ : ٣١.

(٥) حياة الحيوان : ١ : ١٧٠.

وأُحصي في حبسه ثلاث وثلاثون ألف سجين لم يحبسوا في دَين عليهم ولا تبعة[١].

كفره

والشيء المؤكّد أنّ الحجّاج كان كافراً ملحداً، وقد اعترف بكفره سعيد بن جبير والنخعي ومجاهد وعاصم والشعبي وغيرهم[٢].

ولو كان مسلماً ما اقترف هذه الجرائم التي تهتزّ من هولها الأرض والسماء.

ومن كفره أنّه خاطب الله تعالى قائلاً: «أرسولك أفضل ـ يعني النبيّ ﷺ ـ أم خليفتك ـ يعني عبدالملك ـ».

وكان ينقم ويسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبيّ ﷺ ويقول: «تبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله»[٣].

إنّ أعمال الحجّاج تحكي مروقه من الدين وكفره وإلحاده، وهو الذي رمى الكعبة المقدّسة بالمنجنيق، وكان جنده يرمونها ويرتجزون:

خَطّارَةٌ مِثْلُ الفَنيقِ المُزبِدِ نَرْمي بِها أَعْوادَ هٰذا الْمَسْجِدِ[٤]

إنّه لم يرجو لله تعالى وقاراً، عادى الله ورسوله، واستهان بالمقدّسات الإسلاميّة، وسفك دماء المسلمين تشهّياً، وأشاع فيهم الخوف والارهاب.

---

(١) معجم البلدان: ٥: ٣٤٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ٢١١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥: ٢٤٢. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٣٦.

(٤) تهذيب ابن عساكر: ٤: ٥٠.

ابن عمر مع الحجّاج

ولم تكن الصلة وثيقة بين الحجّاج وبين عبدالله بن عمر ، فقد كان الحجّاج يحقد عليه لأنّ له مكانة متميّزة في أوساط أهل الشام تؤهّله للخلافة ، أو أنّه يرومها ويسعى إليها ، فكتب إليه الحجّاج ما نصّه : « بلغني أنّك طلبت الخلافة ، وأنّها لا تصلح لعييّ ، ولا بخيل ، ولا غيور » .

اتّهم الحجّاج ابن عمر بالعيّ والبخل والغيرة ، وهي قادحة فيمن يطلب الخلافة والسلطان .

وردّ عليه ابن عمر بما يلي : « أمّا ما ذكرت من العيّ فمن جمع كتاب الله تعالى فليس بعييّ ، ومن أدّى زكاة ماله فليس ببخيل ، وإنّ أحقّ ما غرت فيه ولدي ، أن لا يشركني فيه غيري »[١] .

وبالرغم من أنّ ابن عمر كان يصلّي خلف الحجّاج ، ويؤدّي إليه زكاة ماله ، إلّا أنّ الحجّاج قد انطوت نفسه على الكراهية والحقد له ، ولم يعن بما أوصاه به عبدالملك من الرعاية له ، وعدم مخالفته ، فقد شقّت عليه هذه الوصاية فيما يقول بعض المؤرّخين[٢] .

بيعة ابن عمر على يد الحجّاج

أسرع عبدالله بن عمر في غلس الليل إلى الحجّاج ليبايع على يده لعبدالملك بن مروان ، والتفت الحجّاج إلى أن مجيئه بالليل للبيعة حتّى لا يراه أحد ، فصاح به : لم جئت تبايع بالليل لئلّا يراك أحد ، ثمّ أمسك يده ومدّ رجله وقال له : أنت لا تصلح

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ٣٤٧ . المعجم الكبير للطبراني : ١٢ : ٢٠٣ . سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٥٧ .
(٢) تهذيب التهذيب : ٥ : ٣٢٨ .

لأُمدّ يدي إليك ، قم وبايع رجلي ، فقام عبدالله وبايع رجله ، فأي هوان مثل هـذا الهوان ؟ وأي ذلّ يضارع هذا الذلّ ؟

ومن المؤكّد أنّ هذا كان انتقاماً من الله وغضباً عليه ، لأنّه لم يبايع وصي رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه .

اغتيال الحجّاج لابن عمر

يكاد يجمع الرواة على أنّ ابن عمر لم يمت حتف أنفه موتاً طبيعيّاً ، وإنّما مات مسموماً ، قد اغتاله الحجّاج ، فقد أوعز إلى بعض جلّاديه باغتياله ، فألقى على رجله في يوم عرفة حربة(١) كانت مسمومة ، فسرى منها السمّ إلى بدنه وهي التي كانت السبب في وفاته(٢) .

وثقل حاله فعاده الحجّاج ، فقال له : مَن أصابك ؟ ولم يخف على ابن عمر أنّ الحجّاج هو الذي أقدم على اغتياله ، فقال له : أصابني مَن أمرتموه بحمل السلاح في مكان لا يحلّ فيه حمله(٣)

ولم يلبث إلّا أيّاماً حتّى توفّي ، ولم يعهد من الأمويّين أنّ أحداً منهم أو من ولاتهم قد أبّنه بكلمة تحكي عن الخسارة بفقده ، وسبب ذلك هوانه عليهم .

وصيّته ودفنه

أوصى ابن عمر أن يدفن في خارج الحرم(٤) ، إلّا أنّه لم يعن بوصيّته ، فقد جهّز

---

(١) **الحربة**: آلة للحرب من الحديد ، قصيرة محدّدة ، وهي دون الرمح .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ١٨٥ . تهذيب التهذيب : ٥ : ٣٢٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٣٦٥ . تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٩٥ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٣١ : ١٩٧ .

وصلّى عليه الحجّاج ودفن في حرم مكّة[١].

زمن وفاته

توفّي سنة ٧٣هـ، وقيل: سنة ٧٤هـ، وكان عمره ٨٤ سنة، وقيل: ٨٧ سنة[٢].

لقد انتهت حياة ابن عمر وقد مرّت بأحداث جسام كان من أقساها ما تعرّضت إليه الأُسرة النبويّة من الخطوب والنكبات، وهي من دون شكّ كانت ناجمة من أحداث السقيفة والشورى التي أصرّ أعضاؤهما على إبعاد أهل البيت عن المسرح السياسي وجعلهم بمعزل عن الحياة الاجتماعيّة، وقد نجم من ذلك اختلاف كلمة المسلمين وشيوع الكراهية والعداء بينهم.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٤: ١٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤: ٣٦٧. تاريخ مدينة دمشق: ٣١: ١٩٨.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ ـ الاحتجاج على أهل اللجاج: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب، دار أُسوة ـ ايران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

٢ ـ الأخبار الموفقيّات: الزبير بن بكّار بن عبدالله القرشي الأسدي، انتشارات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٣ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري = عزّ الدين عليّ بن محمّد بن محمّد، دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٦م.

٤ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي، دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م.

٥ ـ الإسلاميّات: العقّاد، عبّاس محمود، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٧٤م.

٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلانيّ = شهاب الدين أحمد بن عليّ الشافعي، دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠١م.

٧ ـ الأمالي: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٨ ـ الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري = أبو محمّد عبدالله بن مسلم، المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٧م.

٩ ـ أنساب الأشراف: البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٧هـ.

١٠ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: العلّامة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

١١ ـ البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير: ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م.

١٢ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان، دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

١٣ ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٤ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطيّ، عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعيّ، السعادة ـ القاهرة، الطبعة الأُولى / ١٩٥٢م.

١٥ ـ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي، دار الفكر ـ دمشق / ١٤١٩هـ.

١٦ ـ تاريخ اليعقوبيّ: اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م.

١٧ ـ تاريخ الطبري = تاريخ الأُمم والملوك: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

١٨ ـ تاريخ القضاعي (م): القضاعي محمّد بن سلامة.

١٩ ـ تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحرّانيّ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين، دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ.

٢٠ ـ تذكرة خواص الأمّة: سبط ابن الجوزيّ، شمس الدين أبي المظفر يوسف البغدادي، دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢١ ـ تفسير ابن كثير: ابن كثير الدمشقي، ١٤٢٠ هـ، بيروت، دار الفكر.

٢٢ ـ تفسير القرطبي : محمّد بن أحمد القرطبي، ١٤٠٥ هـ،بيروت، دار احياء التراث العربي.

٢٣ ـ تهذيب تاريخ دمشق: ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين الشافعي الدمشقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م.

٢٤ ـ تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ بن محمّد، دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٥م.

٢٥ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ المزّي، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف، دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

٢٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبريّ: الطبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير، دار هجر ـ القاهرة، الطبعة الأُولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢٧ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤٠١هـ.

٢٨ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الاصفهانيّ، دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م.

٢٩ ـ حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام: القرشيّ، باقر شريف: تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٠ ـ حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: القرشيّ، باقر شريف، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١ ـ حياة الحيوان الكبرى: الدميريّ، كمال الدين محمّد بن موسى، ناصر خسرو ـ طهران.

٣٢ ـ حياة محمّد: هيكل، محمّد حسنين: السنّة المحمّديّة ـ القاهرة / ١٩٦٥م.
٣٣ ـ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطيّ، جلال الدين عبدالرحمن، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
٣٤ ـ ديوان الجواهري: مهدي الجواهري، محمّد، دار المعرفة ـ بيروت / ٢٠٠٥م.
٣٥ ـ الذهب المسبوك: تقي الدين المقريزي، أحمد بن علاء.
٣٦ ـ روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين: الفتّال النيشابوري، محمّد بن أحمد، دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٣٨٦ش.
٣٧ ـ سموّ المعنى في سموّ الذات: العلائليّ، عبدالله، بيروت / ١٩٧٢م.
٣٨ ـ سنن أبي داود: الحافظ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث الأزدي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٣٩ ـ السنن الكبرى: الدارمي السمرقندي، أبو محمّد عبدالله بن عبد الرحمن التميمي، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٤٠ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ.
٤١ ـ السيرة النبويّة: ابن هشام = أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م.
٤٢ ـ سيرة عمر بن الخطّاب: ابن الجوزي.
٤٣ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٤٤ ـ صحيح ابن حبّان، محمّد بن أحمد، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٩٩٧م.
٤٥ ـ صحيح البخاريّ: البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل الجعفيّ، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٦ ـ صحيح مسلم = الجامع الصحيح: القشيريّ النيسابوريّ، أبو الحسين مسلم بن حجّاج، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٤٧ ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد، أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الواقديّ الزهري، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٤٨ ـ عبدالله بن الزبير من رموز السياسة الفاشلة: باقر شريف القرشي.

٤٩ ـ عبدالله بن عمر: باسم الحلّي.

٥٠ ـ العقد الفريد: ابن عبدربّه الأندلسيّ، أبو عمر أحمد بن محمّد، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٥١ ـ ملحمة الغدير: سلامة، بولس: مطبعة النشر ـ بيروت / ١٩٤٩م.

٥٢ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب: العلّامة الأمينيّ، عبدالحسين، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٥٣ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلانيّ، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٤ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد الشيبانيّ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م.

٥٥ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: الإربلي، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م.

٥٦ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: المتّقيّ الهنديّ = علاء الدين عليّ بن حسام الدين، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

٥٧ ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٥٨ ـ اللهوف في قتلى الطفوف: السيّد ابن طاووس، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن سعد الدين، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٥٩ ـ مجمع البيان (تفسير) : الطبرسي = أمين الإسلام ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطوسي ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م .

٦٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الهيثميّ ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٦١ ـ المحلّى : ابن حزم الأندلسي = أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري ، دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٨٣هـ .

٦٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعوديّ ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ ، نشر مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٦٣ ـ المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوريّ ، محمّد ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٦٤ ـ مسند أحمد بن حنبل : ابن حنبل ، أحمد ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٦٥ ـ المصنّف في الأحاديث والآثار : ابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمّد بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الأُولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٦٦ ـ المعارف : ابن قتيبة الدينوريّ ، أبو محمّد عبدالله بن مسلم ، دار المعارف ـ وزارية الثقافة ـ دمشق / ٢٠٠٠م .

٦٧ ـ المعجم الأوسط : الطبرانيّ ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي ، دار الفكر ـ عمان / ١٩٩٩م .

٦٨ ـ معجم البلدان : ياقوت الحمويّ ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ .

٦٩ ـ المعجم الكبير : الطبرانيّ ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٦م .

٧٠ ـ مقاتل الطالبيّين: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد، مكتبة الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٧١ ـ مقتل الحسين عليه السلام: الخوارزميّ = أخطب خوارزم، موفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي، مكتبة الشريف الرضي، قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٧٢ ـ مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمّد السرويّ المازندرانيّ، دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٧٣ ـ الموطّأ: الإمام مالك بن أنس، محمّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٧٤ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبيّ = شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان، دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

٧٥ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم: تقي الدين المقريزي، أحمد بن عليّ، مكتبة الشريف الرضي، قم المقدّسة / ١٤١٩هـ.

٧٦ ـ نهاية الإرب في فنون الأدب: النويريّ، أحمد بن عبدالوهاب، مطبعة دار الكتب المصرية.

٧٧ ـ وقعة صفّين: المنقريّ، نصر بن مزاحم، طبع مكتبة المرعشي النجفي ـ قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ.

مُحتَويَاتُ الكِتابِ

ولادته ونشأته

١٥ ـ ٣٠

أحاديث عبدالله بن عمر وفقهه

٣١ ـ ٥٥

عصره . . صور وأحداث